

التوحيد

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٤١٤ - السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - الثمن ١٥٠ قرشًا

الحسد أسبابه وعلاجه

التداوي بألبان الإبل وأبوالها

- عقائد الشيعة في ميزان الشريعة
- دور المؤسسات الدعوية نحو توحيد الخطاب الديني
- حكم إمامة الصبي العاقل

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة الخامسة والثلاثون

العدد ٤١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

التحرير

٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

جهود العلماء في دعوة الزعماء

كتب ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز كتابًا يقول فيه: إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئًا، أما بعد، فإني بعثتُ إليك بهدية، وما هي بهدية ولكنها تحية (وهي الرسالة)؛ قد أحببت أن تبعث إليَّ رجلاً يعلمني ويفهمني الإسلام، والسلام.

لا يخلو العالم الذي يكتظ بزعمائه من غير المسلمين، ممن حاله كحال ملك الهند، فالناس لا ينعدم فيها الخير.

ولقد سمعنا وقرأنا أن أحد زعماء أوربا وهو ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز يثني على الإسلام عقيدة ومنهاجًا، وصدَّرت صحف إسلامية صفحاتها الأولى بهذا الخبر.

وكنا نود أن نرى في هذا العالم العلماء الربانيين الذين تظهر فيهم الديانة والورع والزهد والقدوة الحسنة، والتجرد والعمل لله، بحيث يكون قِبْلَةً صالحة معتبرة يتجه إليها من أراد معرفة الإسلام وفهمه، كما كان عمر بن عبد العزيز قِبْلَةً لملك الهند، فيكونون بذلك قد ساعدوا البشرية في التعرف على الإسلام والدخول فيه، بدلاً من أن يسهلوا لهم الخروج منه.

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

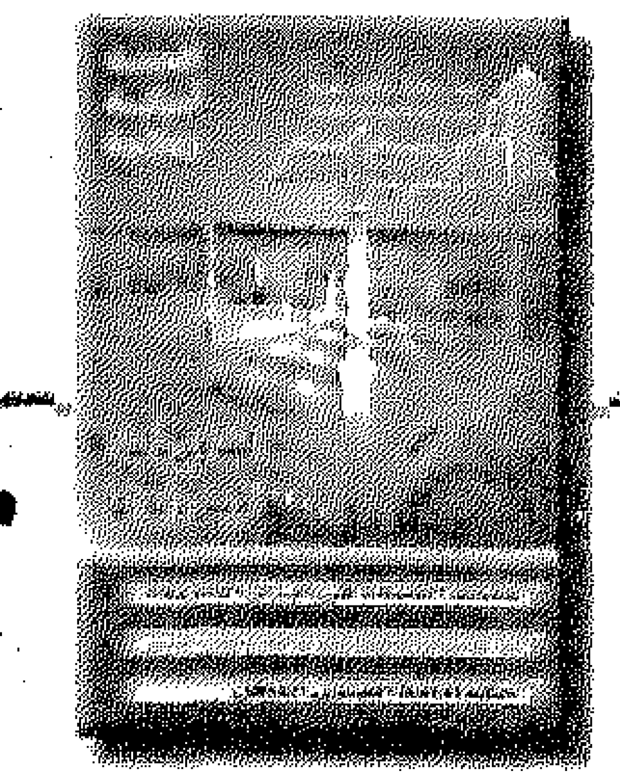
ثمن النسخة
مصر ١٥٠ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني
المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت	www.altawhed.com
موقع المركز العام	www.ELsonna.com

التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

طبع بمطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر


صورة الغلاف

في هذا العدد



دور المؤسسات الدعوية في

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد:

فقد وردت إلينا دعوة كريمة من لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف بمجلس الشعب لحضور عدة جلسات لمناقشة موضوع «توحيد الخطاب الديني ودور المؤسسات الدينية في صد الموجات المضادة للإسلام والمسلمين» بحضور الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف.

وكان من الواجب علينا تلبية هذه الدعوة وتمثيل الجمعية في مثل هذه اللقاءات،وتوجهت إلى المجلس في الموعد المحدد، وطلبت الدخول وحضرت الحوار وكانت المناقشات الساخنة تدور حول قضايا عامة مثل البنوك الربوية وفتوى شيخ الأزهر بمشروعية التعامل معها، وكانت الأصوات تعلو، والمقاطعة للمتحدث تتكرر، ويتدخل في النقاش بعض الحاضرين، والكل يسعى للحديث أو طلب الكلمة على المنصة، فقلت في نفسي: لن أتكلم إلا إذا دعيت للحديث.

فجاء أحد المسئولين عن اللجنة ليتعرف على اسمي، فكتبت له اسمي وصفتي في أوراق يحملها فلما عرفني رحبَ بي وانصرف، وبعد دقائق جاء مسئول آخر وقال لي: هل تريد أن تقول كلمة يا دكتور جمال؟ فقلت له لا مانع عندي، فذهب ودون اسمي في الكشف المدون به أسماء الذين يطلبون الحديث وإلقاء الكلمات.

وتكلم السيد الوزير عن جهود الوزارة في الدعوة إلى الله، وضم المساجد الأهلية إلى وزارة الأوقاف وتعيين الأئمة والخطباء في المساجد عن طريق مسابقات لانتقاء أفضل المتقدمين، بعد أن كان التعيين يتم عن طريق وزارة القوى العاملة، وعمل الدورات التدريبية لرفع مستوى الأئمة، والاستعانة بأصحاب الكفاءة من خارج الوزارة الحاصلين على تراخيص ممارسة الدعوة. وكان الحديث لا يخلو من مقاطعات ومعارضات من بعض الحضور، وتقدم بعض الأعضاء بطلبات إحاطة بخصوص ضم المساجد، وبناء المساجد الجديدة.

وهنا تدخلت السيدة وكيلة المجلس، معلنة أن ما يجري في الجلسة بعيد كل البعد عن الموضوع الذي دعينا من أجل مناقشته، وقاطعها أحد الأعضاء الذين يريدون التعليق وارتفعت الأصوات، وتدخل الأعضاء والضيوف لتهدئة الأمور، وتكلم الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة قائلاً: لقد وجهنا الدعوة لكل المهتمين بالدعوة إلى الله كالجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة والعشيرة المحمدية.

وكثرت الشكوى من التفريعات الجانبية وعدم التركيز على موضوع المناقشة، وقال الدكتور رئيس اللجنة إن أمامي أربعة عشر اسماً يريدون الحديث، والوقت المحدد كاد ينتهي، واقترح أن تؤجل المناقشات والكلمات لموعد قادم، وكان قد تكلم اثنان أو ثلاثة قبل التأجيل عن ضرورة توحيد الجهود وتوحيد الكلمة حتى يظهر المسلمون بالمظهر اللائق أمام غيرهم، وانتهت الجلسة على وعد باللقاء، وقمت من مكاني وصافحت رئيس اللجنة ووزير الأوقاف، واعتذر لي الدكتور أحمد عمر هاشم بأن طالبي الكلمات كثيرون، وأنني سأتكلم في الجلسة القادمة إن شاء الله وألقيت السلام وانصرفت. وكنت أردد في نفسي: سبحان الله، المفترض أن الحضور في هذه اللجنة هم أهل الحل والعقد في هذا البلد، ومع هذا فالأداء في غاية الضعف، وكثير من السادة الأعضاء والسادة الضيوف يحتاجون إلى معرفة آداب الحوار، وآداب الاختلاف، بل وأدب الإنصات والاستماع حتى لا يتحول اللقاء إلى نوع من حوار العشوائية، حوار يتكلم فيه الجميع، ولا يسمع أحد ما يقوله الآخرون، حوار الباعث على الكلام فيه إثبات الذات وحب الظهور ولكن ماذا نملك وهذا ما أفرزته الانتخابات وهذا هو الحوار الديمقراطي المنشود.

ولا أدري لماذا لم يُفعّل السادة النواب شعار

توحيد الخطاب الديني

إعداد/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

الإسلام هو الحل إلى واقع عملي في هذه الجلسة فإن الإسلام يعلمنا دون شك أدب الحوار ويعلمنا دون شك أدب الدعوة إلى الله. قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

سبحان الله.. أين نحن من هذا الهدي القويم الرحمة والرفق واللين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، أين نحن من المشاورة وهي من سبيل المؤمنين ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٠].

وإذا كانت السيدة وكيلة المجلس قد تكلمت عن صورة المسلمين في الغرب، ووجوب تحسين هذه الصورة وعرض الصور الصحيحة للإسلام على الآخر، فإنني أقول إن هذه الصورة الصحيحة لديننا الحنيف يجب علينا أولا أن نعرفها نحن، يجب علينا أن نعرف ديننا، وأن نتحلى بآداب وأخلاق هذا الدين حتى نستطيع توصيل هذه الصورة لغير المسلمين ولا شك أن فاقد الشيء لا يعطيه لغيره وهذا مدخل مهم لكلمتي التي أعرضها على كل مسلم يهتم بأمر دينه ويهتم لأمر المسلمين وينصح لإخوانه في الدين لأئمتهم وعامتهم عملا بقول نبينا ﷺ: «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». [رواه مسلم]

ولقول جرير بن عبد الله البجلي يوم مات المغيرة بن شعبة والي الكوفة سنة ٥٠هـ فقام جرير فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام. فشرط عليّ: والنصح لكل مسلم. ورب هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر الله ونزل. [رواه البخاري في آخر كتاب الإيمان رقم ٥٨]

وقول معقل بن يسار - وقد عاده عبيد الله بن زياد في مرضه الذي مات فيه -: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يَحُطْها بنُصحه لم يجد رائحة الجنة». [رواه البخاري في كتاب الأحكام ح٧١٥٠]

والقضية التي اجتمعت اللجنة الدينية بمجلس الشعب لمناقشتها قضية خطيرة، إنها قضية أمة وصفها رب العزة سبحانه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

ولكن الأمة اليوم ليست هي الأمة وقت نزول هذه الآية، الأمة الآن ليست في طور عزها وريادتها، وإنما هي طوائف وشيع بأسها بينها شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، والله تعالى قد حذر الأمة من هذا الواقع المرير فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٥].

ولكن قدر الله غالب فأصاب الأمة داء الأمم قبلها ووقعت في التفرق والاختلاف فكيف يستقيم الحديث عن توحيد الخطاب الديني، ولكل فرقة من فرق الأمة منهاجها ومنطلقها الذي تنطلق منه في خطابها ودعوتها، ولهذا فليكن منطلقنا في هذا الحوار حتى لا يأخذنا التشاؤم إلى درجة التسليم بالضعف والعجز، ونبينا ﷺ كان ينهى عن الطيرة - التشاؤم - وكان يحب الفأل، والفأل قد يأتي بكلمة طيبة.

فأقول: لاشك أن هناك اختلافات كثيرة بعضها سائغ وبعضها مما يثير التنازع والشقاق، ولا شك أننا نرتكز في دعوتنا على كتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وهذا لا يخالف فيه أحد منا بفضل الله عز

وجل، فلنبدأ إذن دعوتنا من هذا المنطلق الذي لا نختلف فيه ولا نختلف عليه، لابد أن نُفَعِّلَ هذا الذي نتفق عليه، ننطلق منه في خطابنا الدعوي، ونحتكم إليه عند اختلافنا، ونعلم الخلاف السائغ فيعذر بعضنا فيه بعضًا ونعلم الخلاف الذي لا يجوز فنحذر من الوقوع فيه، لأنه يؤدي إلى النزاع وإلى الشقاق.

إننا جميعا ننتسب إلى أهل السنة والجماعة، هذا المذهب الوسط في فرق الأمة فكما أن هذه الأمة هي الأمة الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فأهل السنة والجماعة هم الوسط بين فرق الأمة. يجب علينا نشر هذا المنهج الوسط بين دعاتنا وبين شبابنا، هناك مسائل كثيرة يطرحها شبابنا أو ربما تأتيهم من الخارج تدور حول قضايا فكرية تثير الخلاف والاختلاف مثل قضايا وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، وقضايا التعامل مع ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم في المعروف أو نبذ السمع والطاعة وتزيين منهج الخوارج في التكفير والخروج على ولاة الأمور، وهناك قضايا أخرى يطرحها دعاة المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة مثل قضايا الإمامة، وعدالة الصحابة واعتبار السنة أو الطعن في السنة وهناك نوع آخر يطرحه من يعتنقون العلمانية وضرورة فصل الدين عن الدولة، وهؤلاء الذين يمتطون الدين لتحقيق طموحاتهم السياسية، ولا شك أن هذه الأفكار وهذه القضايا ستجد سوقًا رائجة بين شبابنا الذين يفقدون الحصانة، والحصانة التي أعنيها ليست هي الحصانة التي يمنحها الدستور لأعضاء مجلس الشعب، ولكنها الحصانة التي يمنحها العلم بالمنهاج الصحيح لأهله، إن هذه القضايا والأفكار الخطيرة التي تروج بين شبابنا، ويتكلم فيها من يعلم ومن لا يعلم، يتحرج كثير من أهل العلم من الخوض فيها ربما يدافعهم إلى ذلك مصلحة استقرار الدعوة، والخوف من مخاطبة ولاة الأمر في قضايا حساسة، فيقولون ندرأ المفاسد ونجلب المصالح، ولا شك أن درء المفاسد وجلب المصالح من القواعد المهمة عند أهل السنة، ولكن ترك الخوض في هذه القضايا بضوابط أهل السنة والجماعة يؤدي إلى وقوع الشباب في شراك المروجين لهذه الشبهات، والواجب علينا ألا نترك هذه المسائل المهمة لمن لا يحسنون الحديث عنها، إنني أطالب شيخ الأزهر ووزير الوقاف بإصدار كتاب سنوي أو شهري تناقش فيه هذه القضايا من خلال منهج أهل السنة والجماعة، وأذكر شيخ الجامع الأزهر بكتاب «هذا بيان للناس» الذي عالج بجرأة كثير من هذه القضايا، وكذلك أذكر وزير الأوقاف بسلسلة «كتاب الإمام» وغيره من الكتب التي صدرت عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٨٦م مثل كتاب «المنبر»، هذا بعض ما يجب علينا للإصلاح الداخلي، إضافة إلى منح المزيد من تراخيص الوزارة للخطباء والدعاة المعروفين بالاعتدال والوسطية ويمارسون الدعوة ممارسة فعلية ليكون ذلك بإشراف من الوزارة بدلاً من العمل خارج هذا الإطار.

أما عن الدعوة إلى الله في الخارج، وصد الموجات المعادية للإسلام والمسلمين فهذا يحتاج إلى جهد كبير لا يمكن أن تتحمله وزارة الأوقاف أو الأزهر أو الجمعيات الأهلية المعنية بالدعوة إلى الله، بل لابد من دور ظاهر للدولة في هذا المجال، وليبدأ هذا الدور من اللجنة الدينية بمجلس الشعب بتقديم توصيات للحكومة وأجهزة الدولة المعنية.

وأقترح بعض هذه التوصيات

أولاً: إنشاء معهد دعوي متخصص لتخريج دعاة متميزين في العلوم الشرعية والثقافية الإسلامية وكذلك الثقافة العامة واللغات، ولا يشارك في هذا المعهد إلا المتميزون من خريجي الجامعة، ومن يشاركون في الدراسات العليا، ويشارك مع هؤلاء بعض الدعاة المتميزين على الساحة الدعوية ويكون هذا المعهد على غرار معاهد إعداد القادة، أو ما يعرف بفرقة أركان الحرب في القوات المسلحة، ويتم توجيه هؤلاء بعد الدراسة للدعوة إلى الله في البلاد المختلفة لنشر صحيح الدين، وذلك من خلال الملحق الثقافي في السفارات المصرية، وكذلك المراكز الإسلامية، ولابد من تعاون الدولة مع غيرها من الدول المسلمة المعنية بهذا الشأن.

ثانيًا: إنشاء مجلس قومي للدعوة الإسلامية، تكون له ميزانية خاصة، وظيفته الدعوة في الخارج وتكون له سلطة التعاون والتنسيق مع وزارة الخارجية لتوجيه الممثلين الدعويين من خلال السفارات المصرية، وذلك على غرار المجالس القومية المتخصصة.

ثالثًا: إنشاء قناة فضائية تبث باللغة العربية وباللغات الأجنبية لبيان صحيح الدين وعدم الاكتفاء بالجهود الفردية في هذا المجال.

رابعا: تفعيل المواقع الدعوة على شبكة الانترنت وذلك بالتعاون مع كل المعنيين بهذا الشأن.

وأخيرًا فإن الهداية بيد الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وإنما ندعو للأخذ بالأسباب وبالله التوفيق.

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]. والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

الأجازة الصيفية والتوجيهات النبوية

إعداد
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله وليِّ الصالحين، أحمده سبحانه تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وخاتم النبيين وبعد:

تمر المواسم وتنتهي.. فها هي مواسم الطاعات تأتي ونستعد لها وما أن تنتهي تلك المواسم وقد جنى كلٌ ثمار ما قدم من أعمال، وما أدرك من طاعات، سرعان ما يعود إلى ما كان عليه، منهم من يراجع نفسه ويحاسبها، ومنهم من يتركها للهوى تلهو وتعبث مضيعًا ما فات، ناسيًا أو متناسيًا ما يجب عليه من فرائض، وما لغيره من الحقوق، فمن راقب ربَّه وخشيَه وحاسب نفسه وألزمها بما يقربَه إلى الله ويُبَاعِده من الذنوب والآثام صلح باله وحسُنَ حاله ومآله، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]. فمن حاسب نفسه وراقبها وسيطر عليها صبر على عبادة الله عز وجل التي هي أعظم إكرام للعبد من ربّه امتثالا لقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا ﴾ [مريم:٦٥] وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وبعد أيام قليلة ينتهي موسم آخر من المواسم وهو موسم الامتحانات لندخل موسمًا جديدًا وهو الأجازة الصيفية، وفي غمرة الغفلة ينسى فريق من الناس أن من نعم الله السابغة نعمة الفراغ، ذلك الفراغ الذي ينقطع به كدُّ المرءِ ونصبُه بانتهاء ما كان واجبًا عليه، وإن الغفلة عن هذه النعمة تفضي إلى إضاعتها وعدم رعايتها حق رعايتها، فتكون العاقبة نقصانًا وخسرانًا بضياع فرص العُمر وتبدُّد أسباب الرِّبح وذلك هو الغبن الذي بيَّنَه رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه والترمذي وابن ماجه في سننهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وقوله ﷺ في اغتنام نعمة الفراغ حيث قال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».
[أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما]

شباب الأمة واغتنام الأوقات

يدخل علينا موسم آخر من نوع آخر هو موسم الأجازة الصيفية، فهل نحوله إلى موسم ننهل فيه من طاعة ربنا

ونُقبل على ما ينفعنا من علوم سواءً كان هذا العلم من علوم الدنيا، أو من علوم الآخرة نحصلها تقربًا إلى الله سبحانه.

وأولى من يُوَجَّهُ إليهم هذا الخطاب هم الشباب الذين يستقبلون أيام أجازتهم التي أظلَّهم زمانُها، وكذلك من يقوم على شؤونهم من الآباء والأمهات والمربِّين وأمثالهم، ممن يدرك قدر هذه النعمة، ويعلم أيضًا أن نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في مدارج السالكين ١٢٩/٣ لذا كان لزامًا عليهم التخطيط المحكم من أجل كمال الانتفاع بهذه الأجازة وذلك بصرف الطاقات واستثمار الأوقات في كل ما يحل، وينفع، ويحمد ولا يُعاب، من انشطة علمية وتربوية، وخيرية وترفيهية، ومن سفر مُباح هادفٍ نظيف، سالم من إضاعة المال منزّه عن قصد الفخر والخيلاء، ومن عناية بالأقربين الذين قد تكون الشواغل والصوارفُ سببًا في القُعود عن آداءِ ما يجب لهم من برٍ وصلةٍ.

أيام قليلة ويهل علينا موسم الأجازة الصيفية وفي غمرة الغفلة ينسى فريق من الناس أن من نعم الله السابغة نعمة الفراغ، وأن الغفلة عن هذه النعمة يفضي إلى إضاعتها وعدم رعايتها فتكون العاقبة خسرانًا ونقصانًا بضياع فرص العمر وعدم اغتنام الأوقات

شباب الأمة، والالتزام بالمنهج الصحيح!!

يدخل علينا موسم الأجازة الصيفية، ونحن في عصر قد تنوعت فيه، مسالك الشبهات، وتاججت نوازع الشهوات، وغدا شبابنا معرضٌ لسهام مسمومة، ورماح غزوٍ مأفونة.

ففي ميدان الأفكار المنحرفة والفرق والمِلل الباطلة لم يتلوّث مجتمع الرعيل الأول «جيل الصحابة» من فتنها، فقد كان تحصين الرسول ﷺ لهذا الجيل قويًا. فقد خرج الرسول ﷺ ذات مرة على أصحابه وهم يتنازعون في القدر هذا ينزع آيةً، وهذا ينزع آيةً، فكانما فقئ في وجهه حبُّ الرُّمان فقال ﷺ: «بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟! إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا». [أخرجه أحمد]

وسلامة القاعدة الأخلاقية في حياة الأمة سبيل استقرارها، ومناط قوتها، وإذا انحرف سلوك الأفراد وانفجر بركان الشهوات، وسيطرت النزوات، أشرفت الأمة على الهلاك، وآذن بزوالها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦].

إن الدين أعظم حصانة للشباب من كل انحراف، وقراءة التاريخ تُجلّي لنا أن ظهور الفرق وبروز الانحراف وشيوع الجريمة لم تنل حظها في المجتمعات، ولم تفعل فعلها في القلوب والعقول إلا على فترة من الدّعوة واندراس من الشريعة، ولا أخالُ مُنصفًا يُنْكِر هذا، وبالتالي يحيي سُنَنًا وعبرةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وفي غياب الدين الصحيح، والإيمان القويم، والمنهج الوسط

يكون الشباب معرضًا للانحراف، وخاصة وهو يعاني فراغًا قاتلا، وظلمة موحشة إن لم تجد ما يغذيه ويملأ فراغه بطاعة الله، وصلة الرحم وفعل الخيرات ونبذ المنكرات، قد يقع فريسة الإجرام والإرهاب والتطرف، أو الارتماء في أحضان الأعداء، أو الوقوع في مصائد المنحرفين، أو يسيطر عليه الضياع حتى يُصبح كالسُّمِّ في جسد الأمة والمِعْوَل في كيانها، يحطم مستقبلها ومُستقبله ويهدم كيانها وكيانه.

الانتفاع بنعمة الفراغ!!

يدخل علينا موسم الأجازة الصيفية، والرغبة راسخة في جعل المواسم كلها مواسم طاعات، واحدة تلو الأخرى، مع ضرورة التخطيط الهادف للانتفاع بفرصة نعمة الفراغ وذلك للمحافظة على الوقت الذي هو العُمُر حتى لا تطوى صحائف الأعمال ولم يكتب فيها من الخير ما يَسُرُّ صاحبه ويرتفع بمقامه عند ربّه في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهو أيضًا باعث على حفظ الشباب من أن يكون مِعْوَل هدم في بناء مجتمعه وأمّته حين تُتْرك فرصة الاستحواذ عليه متاحة للأعداء من أهل الشُبهات والشهوات ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٤]، هنالك يعظم الخُسْرَان المبين، وتَسْتبينُ صورة الغبْن الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ جليّة بينة.

والفراغ سببٌ من أسباب الانحراف، والوقت إذا لم يُوظف توظيفًا سليمًا فإنه ينقلب بآثاره السيئة على صاحبه فيكون أكثر استعدادًا للانحراف.

وفي الفراغ قد تتسلّل فتتمكن فكرة منحرفة أو نزوة عابرة أو شهوة جامحة، فتقع الواقعة، لذا وجب على المؤسسات الدعوية القيام بعمل الدورات الصيفية الشرعية، ونشر حلقات تحفيظ القرآن في المساجد والمدارس والمعاهد ومراكز الشباب والأندية، وتوفير المحاضن التربوية الآمنة لاستيعاب وإصلاح ما تيسّر من شباب جعل الفراغ الغلو طريقًا له، شبابٌ رضى بالعيش على هامش الحياة، فافترش الأرصفة وتسكّع في الأسواق، شباب وقع فريسة للخمور والمخدرات، قال علي رضي الله عنه: «من أمضى يومًا من عمره في غير حقٍّ قضاه أو فرض أدّاه أو مجد بناه أو حمدٍ حصّله أو خيرٍ سمعه أو علم اقتبسهُ فقد عَقَّ يومه وظلم نفسه». [فيض القدير ٦/٢٨٨]

والعَالمُ يعيش اليوم حالة من الإثارة الشهوانية العارمة التي تلهب مشاعر الشباب، ومن أبرز سُبُل الانحراف ومن أبرز سبل حبائل شياطين الإنس هذه الفضائيات التي يزيّنُ معظمها الانحراف ويَجُرُّ إلى الضلالة، لقد تراجع دور مؤسسات التربية أمام هذه الفضائيات التي أطلقت أبواقها وسخرت جهودها في فتح أبواب الانحراف من تلويث العقول وإفساد

في غياب الدين الصحيح، والإيمان القويم، والمنهج الوسط يكون الشباب معرضًا للانحراف، وخاصة وهو يعاني فراغًا قاتلا، وظلمة موحشة إن لم تجد ما يغذيه ويملأ فراغه بطاعة الله، وصلة الرحم وفعل الخيرات ونبذ المنكرات، قد يقع فريسة الإجرام والإرهاب والتطرف، أو الارتماء في أحضان الأعداء،

القلوب ونزع جلباب الحياء، سهلت الغزو الفكري، ونقلت ثقافة وأخلاق بلدان لا تمثل الإسلام ولا تدين به، شجَّعت على الفسق والسفور، جرأت على الجرعة والانحراف. ساعد على ذلك؛ الفراغ القاتل تلك النعمة التي لم تستغل حق الاستغلال كما أوصى بذلك ربنا عز وجل وكما بين لنا رسولنا الكريم صلوات الله وتسليمه عليه، وهنا تأتي رسالة المسجد للقيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإحياء دوره في التوجيه والإصلاح، وقيام الدعاة والمربين بواجبهم، وتحمل مسئوليتهم، بل كل فرد منا يُعتبر حارسًا أمينًا ومسئولا عن حماية أمته من الفساد والانحراف، وتوجيه الشباب إلى مجانبة الهوى والمحافظة على نقاء وبقاء المجتمع السويِّ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

الأجازة والترويح المشروع!!

يحلُّ علينا موسم الأجازة الصيفية وقضية الترويح ومفهومه، والفراغ وهمومه تشغل بال الكثيرين من الآباء والمربين، فمع بداية الأجازة نجد أنفسنا أمام مسألة خطيرة ألا وهي الكيفية التي نستطيع بها ومن خلالها جعل حياة الشباب من أبنائنا في أعلى مستويات الإيمان ودرجات الكمال في نفس الوقت الذي نجد أنفسنا أمام أمر آخر وهو كيفية الترفيه والترويح لنزيل تعب شبابنا ومعاناته بعد موسم دراسي طويل. وفترة امتحانات مرهقة، نحتاج إلى برنامج ترويحي يزيل التعب والإرهاق، ويجدد النشاط، ويساعد على العمل، ويزيد الطاقة النافعة المستخدمة وليس معنى ذلك أن يقطع المسلم يومه لهوًا ولعبًا، ويَشْغَل الأوقات بالعبث والمجون، أو بالعكوف على أفلام ومجلات خليعة، تثير الغرائز، وتفسد القلوب. بل كما قال المصطفى ﷺ: «ساعة وساعة». وقد كان عبد الله بن مسعود يقول: «وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا». [البخاري ومسلم]

والتخول هو التحول من حالٍ إلى حال، لكن الفهوم السقيمة تتكئ على هذه النصوص لتضيق ساعة الذكر والجد والحزم، وتوسّع ساعة الترويح واللهو، فتهجر مجالس العلم والوعظ إلا قليلا.

وقد ينقدح في بعض الأذهان عند الحديث عن الترويح أنه سلوك بلا ضوابط، وممارسة بلا منهج، وتعدٍ على حدود الشرع، فيمارسون الترويح بأي وسيلة، دون تقيد بحلّ أو حرمة أو فضيلة.

فالترويح وسيلة سامية تخدم مصالح ومقاصد عالية، تُبنى في ظلها سمات الشخصية، تُقوِّي الأجساد، تُهَذِّب الأخلاق، تدرِّب على الرجولة والجد، تفتح آفاقًا من العلم والعمل، مسابقةً بالأقلام، مصارعة لتربية الأجسام، تحفيزًا على تعلم الرمي،

إن الأمة التي تملأ وقتها بقراءة المفيد، وتعلم العلم النافع، ترقى في سلم التقدم والحضارة، وتكون قادرة على فهم الحياة، وإصلاح حالها، وبلوغ أهدافها، أما الأمة التي لا تتعدى ثقافتها ميادين اللهو واللعب والأزياء، ستظل تابعة ذليلة في مؤخرة الركب لا وزن لها

سَابَقَ رسول الله ﷺ أصحابه، كما سَابَقَ عائشة. [أحمد وأبو داود]

وقد خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على قوم من أسلم يتناضلون في السوق فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا». [البخاري]

ويقول عمر بن عبد العزيز: «تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسنٌ جميل».

[البيهقي في الشعب]

وليس من الترويح المباح التجول في الشوارع والأسواق، وتتبع العورات، والجلوس في المقاهي والشوارع والطرقات، الترويح في الإسلام ليس كأي ترويح بل هو ترويح بريءٌ من كل إسفاف، أو خروج على الأخلاق الإسلامية، حمايةً للرجال والنساء من الاختلاط والنظرة المحرمة، ترويح تترتب عليه مصالح وفوائد، لا يتضمن سخرية بالآخرين، ولمزًا للمسلمين، ولا غيبة ونميمة، لا يتضمن كذبًا وافتراءً، فالنفس لها إقبال وإدبار، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للقلوب شهوة وإقبالا، وفترة وإدبارًا، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها». [بهجة المجالس، والفوائد]

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ويداعب؛ فقد جاءته امرأة عجوز تقول: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها: «يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز»، وانزعجت المرأة وبكت، ظنًا أنها لا تدخل الجنة، فلما رأى ذلك فيها بيَّن لها غرضه أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزٌ، بل يبعثها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، وتلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٥-٣٧]».

[أخرجه هناد في الزهد والطبراني في الأوسط]

فهذه الشخصية التي تمارس المزاح والمداعبة هي ذاتها التي تقوم الليل وتصوم النهار، تجاهد في سبيل الله، تبذل النفس والنفيس، ويدها سخّاء، قال ﷺ: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه».

[أخرجه البخاري]

إن الأمة التي تملأ وقتها بقراءة المفيد، وتعلم العلم النافع، ترقى في سلم التقدم والحضارة، وتكون قادرة على فهم الحياة، وإصلاح حالها، وبلوغ أهدافها، أما الأمة التي لا تتعدى ثقافتها ميادين اللهو واللعب والأزياء، ستظل تابعة ذليلة في مؤخرة الركب لا وزن لها. قال عمر بن الخطاب: «إن هذه الأيدي لابد أن تُشغَل بطاعته، قبل أن تشغلك بمعصيته».

اللهم إنا نسألك ونحن واقفون ببابك بين يديك وأنت في عليائك وكبريائك أن تنصر الإسلام والمسلمين، وأن تعز شبابنا وتحفظهم من كل مكروه وسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إن عَالمُ اليوم يعيش حالة من الإثارة الشهوانية العارمة التي تلهب مشاعر الشباب، وإن من أبرز سُبُل الانحراف وحبائل شياطين الإنس هذه الفضائيات التي يزيّنُ معظمها الانحراف ويَجُرُ إلى الضلالة، والتي أطلقت أبواقها وسخرت جهودها في فتح أبواب الانحراف من تلويث العقول وإفساد القلوب



﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلاَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤)﴾

[الإنسان: ١- ١٤]

-: ﴿ بين يدي السورة ﴾ :-

سورة مكية، تعرف الإنسان بنفسه: مَن هو؟ ومِن أين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ وإلى أين ينتهي؟ وماذا بعد النهاية ؟ هذه الأسئلة التي حارت فيها أفهام، وضلّ بسببها أقوامٌ، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقد أَوْجَزَتِ السورةُ في ذكر عذاب الكفار، وأطالتْ في ذكر نعيم الأبرار، ثم خُتمتْ بالحديث عن القرآن، وأمر النبي ﷺ بالصبر على ما يلقاه من المكذبين من الأذى، فإنّ اللَّه قادرٌ على أن يبدل خيرًا منهم: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

[إبراهيم:٢٠]

فلو أنّ إنسانًا حائرًا، شاكًا مترددًا قرأ هذه السورة أو استمع إليها، وهو منزه قلبه عن الهوى والعصبية والحمية الجاهلية، ما تردّد بعدها لحظةً، ولا شكّ بعدها بُرهةً، فإنها كلامُ اللّه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] ؟ ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

[الإنسان: ١- ٣]



إعداد / د. عبد العظيم بدوي

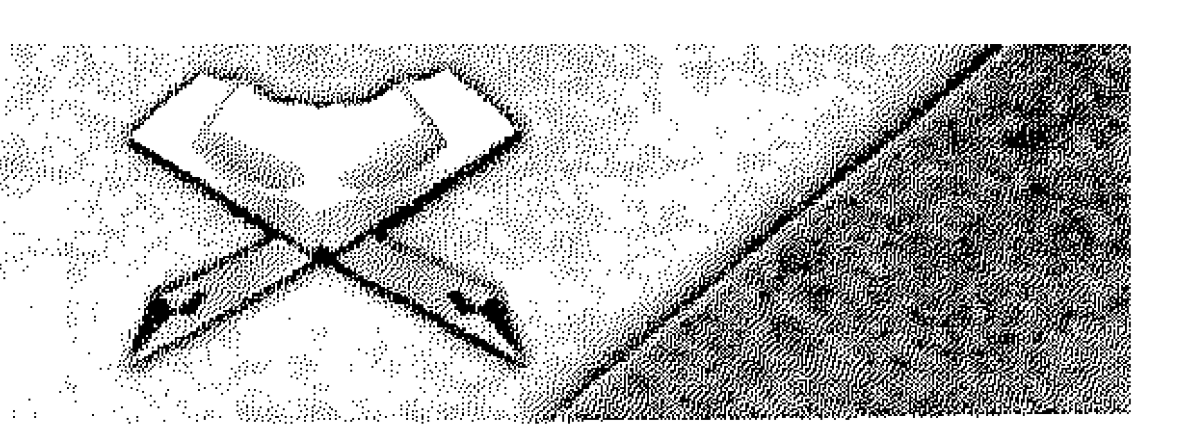
ـــ: ﴿ تفسير الآيات ﴾ : ـــ

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، هذا سؤال للتقرير، ومعناه: قد أتى على الإنسان زمانٌ لم يكن شيئًا مذكورًا، كما تقولُ لمن أكْرَمْتَه: هل أكرمتُك ؟ ولمن أحسنْتَ إليه: أأحسنتُ إليك ؟ كلّ مولود له تاريخُ ميلاد، فأين كان قبل ذلك التاريخ ؟ ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ كان عَدَمًا، إذن: مِنْ أين جاء الإنسانُ ؟ مِنَ العدم. ومَنِ الذي جاء به؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ فالذي جاء بالإنسان مِنَ العدمِ إلى الوجودِ هو اللّه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ؟ مستحيل، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] أنفسهم ؟ أيضًا مستحيل، هل ادَّعى أحدٌ أنه خلق نفسه أو غيره ؟ لا، بل الكل متفق على أن الخالق هو اللّه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، والله تعالى خَلَقَ الإنسان الأول آدم من طين، أما الإنسان المذكور هنا فالمراد به بنو آدم، والله يقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي من نطفة مختلطة، والمراد بها نطفةُ الرجلِ ونطفةُ المرأة، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧]، والمراد بالصلب صُلْب الرجل، والمراد بالترائب ترائب المرأة، قال اللّه تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]

ولماذا خَلَقَ اللهُ الإنسانَ ؟ قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ أي لنختبره ونمتحنه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧]، إذن لم يخلق اللّهُ الخلق عبثًا، وما كان ليتركهم سُدًى، بل خلق الخلق ليختبرهم ويمتحنهم بالأمر والنهي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي لآمرهم بعبادتي، فمن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار.

وحتى يتمكن الإنسان من معرفة ما خُلق له والقيام به أعطاهُ اللّه وسائل المعرفة والعلم والإدراك وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فبالسمع يستمع إلى آيات اللّه المقروءة، وبالبصر يتأمل آيات اللّه المنظورة، فيؤمن به ويعبده، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، ومع هذه الوسائل أعطاه اللهُ القدرة على سلوك أي السبل شاء، سبيل اللّه، أو سبيل الشيطان.

ثم بعد ذلك كله أرسل إليه الرسل ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾



المراد بالهداية هنا هداية البيان والإرشاد، فالله تعالى قد هدى الإنسان أي بيّن له طريق الخير والشر، وأرشده إلى طريق الخير، وحذره من طريق الشر، كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] أي الطريقين، طريق الخير وطريق الشر.

وهذه الهداية يقوم بها الأنبياء وأتباعهم، فمن قَبِلَها منهم واتَّبَعَهُمْ مَنَّ اللهُ عليه بالهداية الثانية وهي هدايةُ التوفيق، وهو خَلْقُ قُدرةِ الطاعة، ومَنْ رفض هداية الأنبياء وكذب وتولى حقت عليه كلمة العذاب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، والهداية هنا هي هداية البيان والإرشاد التي هداهم إليها أخوهم صالحٌ عليه السلام، ولكنهم آثروا الباطل على الحق، ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ أي أن الإنسان بعد بيان الأنبياء له، وهدايتهم إياه، إمَّا أن يتبعهم على ما جاءوا به من الهدى ودين الحق فيكون شاكرًا، وأمَّا أن يتولى عنهم ويرفض الذي جاءوا به فيكون كفورًا، ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

فإن قيل: لِمَ جمع الله تعالى بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في المبالغة ؟ فالجواب: أنه سبحانه إنما جمع بين الشاكر والكفور نفيًا للمبالغة في الشكر، وإثباتًا لها في الكفر، لأن شكر الله تعالى لا يؤدى كاملاً، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر لأنه كثير، فقلّ شكرُه لكثرة النعم عليه، وكُفْرُه وإن قل فكثير لكثرة الإحسان إليه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا.... ﴾. هذه الآيات تخبر عمّا للناس عند الله بعد رجوعهم إليه، ولما كان ﴿ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بيّن سبحانه جزاء كلٍّ فقال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾، والسلاسلُ قيودُ الأرجل، والأغلالُ قيودٌ تُوضع في الأيدي وتضمها إلى الأعناق، كما قال تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]، وقد أخبر سبحانه عن طول السلسلة الواحدة فقال: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٢]. وأما السعير فهو اللهب والحريق في نار جهنم، وحسبهم ما ذُكِر، أما الأبرار فيفصل ربنا سبحانه ما أعد لهم من النعيم فيقول: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾، الأبرار: جمع بارّ من البر، وهو اسمُ جامعٌ للخير كله، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أولئك يشربون في الجنة ﴿ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ والكافورُ أطيبُ من الطيب. قال العلماء: كان النّاس إذا شربوا الخمر وضعوا عليها شيئًا من الكافور لتطيب رائحتها، فذكر الله تعالى أنّ الأبرار يشربُون في الجنة من الخمر التي ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩]، وهي مع ذلك قد مُزجت بالكافور زيادةً في طيبها، بينما المقرّبون يشربون من الكافور الخالص غير الممزوج، كما قال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾، والأبرار هم المقتصدون، بينما المقربون هم السابقون في الخيرات، الذين اجتهدوا في الطاعات فَرْضِها ونفلها، وتركوا المحرمات وغيرها من المكروهات، ومِنْ أعمالِ الأبرار التي نالوا بها ما نالوه أنهم ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ فإذا ألزمُوا أنفسهم شيئًا من الطاعات غير اللازمة أوْفوا بما التزموا به،

وإذا أدَّوا ما ألْزَموا به أنفسهم من الطاعات فلا بد أنهم أكثرُ أداءً وأكثرُ وفاءً لما ألْزَمهم به الله سبحانه، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي منتشرًا عامًّا في كل الناس، إلا من رحم الله، قال قتادة: استطار - والله - شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، وهذا مما يُنال به البّر، كما قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإذا كان إطعام الطعام على حبّه محمودًا فإن الإيثار أعظمُ منه حمدًا، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فالذي يطعم الطعام على حبه قد لا يكون محتاجًا إليه، أمّا الذي يؤثر على نفسه فهو محتاج إلى ما يُؤثرُ به غيره، وهذا أمرٌ لا تطيقه كلّ النفوس.

وإطعامُ الطعامُ عملٌ من أعمال البر، ولكنّ أعمال البر لا تنفع إلا إذا أُريد بها وجه الله، ولذا قال الأبرار: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، فقد يُطعِمُ الرجلُ طمعًا في أن يُطعَم، وقد يُعطي طمعًا في أن يأخذ، وقد يُطْعِمُ طمعًا في المدح والثناء، ولكنّ الأبرار يُطْعِمونَ الطعام على حبه يرجون رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٤- ٢١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علِم اللهُ به من قلوبهم فأثنى عليهم به، ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ يبين علة إطعام الطعام لوجه الله، فهم يخافون يومًا ضيقًا شديدًا، كان شرّه مستطيرًا، فهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ عسى الله أن يقيهم شرّ ذلك اليوم، وقد وقاهم، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، لقد كانوا يخافون شرّ ذلك اليوم ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، وهذه وحدها كافية، ولكنّ الله زادهم منْ فضله، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم، والقلبُ إذا سُرّ استنار الوجه، ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعته، وعن معصيته، وعلى قدَره، ﴿جَنَّةً﴾ ﴿عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، ﴿وَحَرِيرًا﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ والاتكاء جلسة الاستراحة، وعُنْوانُ خُلُوّ البال، وطمأنينة الفؤاد، وكلّ ما حولهم يعين على ذلك، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ يزعجهم حرّها، ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يؤذيهم برده، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي قريبةٌ إليهم أغصانُها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ بحيث إنه إنْ قام ارتفعت معه، وإن قعد تذللت له، وإن اضطجع تذللت له، قاله مجاهد رحمه الله.

فإلى عشّاق النزهة والفسحة، وإلى طُلّاب ظلّ الأشجار وضفاف الأنهار، أما ترغبون في مثل هذه الأشجار ! أما ترغبون في مثل هذه الأنهار! أما ترغبون في ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٢، ٢٣]، اسمعوا وعوا: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥- ٥٨] فمن رغب فليعمل، فإنّ الله يقول: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من الإعجاز العلمي في

التداوي بألبان الإبل وأبوالها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه. وبعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم ناس من عُكْلٍ أو عُرَيْنَةَ، فاجتَوَوُا المدينة، فأمرهم النبي ﷺ بلِقَاحٍ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا، فلما صَحُّوا قتلوا راعي النبي ﷺ واسْتَاقُوا النَّعَم، فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهارُ جيء بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسُمِّرَتْ أعْيُنُهم وأُلْقُوا في الحرَّة، يَسْتَسْقُون فلا يُسْقَوْنَ.

قال أبو قِلابَةَ: فهؤلاء سَرَقُوا، وقتلُوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله.

إعداد/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بالأرقام: [٢٣٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٢، ٤١٩٣، ٤٦١٠، ٥٦٨٥، ٥٦٨٦، ٥٧٥٧، ٦٨٠٢، ٦٨٠٣، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥، ٦٨٩٩]. كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود من صحيحه برقم [١٦٧١/٩ - ١٤]، وأخرجه الإمام أبو داود برقم (٤٣٦٤)، والإمام الترمذي في الطب برقم (٢٠٤٢)، والإمام النسائي في المحاربة بالأرقام (٤٠٢٩ - ٤٠٤٨)، والإمام ابن ماجه في الطب برقم (٣٥٠٣)، والإمام أحمد في المسند [١٩٢/١، ١٠٧/٣، ١٦١، ١٧٧، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٧٠].

شرح الحديث

قول أنس رضي الله عنه: «قدم أناس» أي على رسول الله ﷺ.

قوله: «من عُكْلٍ أو عُرَيْنَة» قال الحافظ في الفتح: الشك من حماد، ثم ساق الروايات التي بها شك، والروايات التي اقتصرت على إحداهما، ثم قال: وفي المغازي: «من عكل وعرينة» بالواو العاطفة، وهو الصواب، ويؤيده ما رواه أبو عَوَانة والطبري من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل، ولا يخالف هذا ما عند المصنف في الجهاد، وفي الديات عن أبي قلابة عن أنس: «أن رهطًا من عكل ثمانية» لاحتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين وكان من أتباعهم فلم ينسب، وزعم ابن التين تبعًا للداودي أن عرينة هي عكل، وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان وعرينة من قحطان، وقد روي أن قدومهم كان في سنة ست من الهجرة بعد غزوة (ذي قَرَد) أو بعد الحديبية، والله أعلم. انتهى من الفتح باختصار.

قوله: «فاجْتَوَوُا المدينة». قال ابن فاس: يقال: اجتويت البلاد إذا كرهتها وإن كنت في نعمة، قال: ومن هذا الجَوَى وهو داء القلب. وقال ابن الأثير في النهاية: اجْتَوَوا أي أصابهم الجَوَى، وهو المرض

الطب النبوي

إعداد
زكريا حسيني

وداء الجوف إذا تطاول. ونقل ابن حجر عن ابن العربي: الجوى داء يأخذ من الوباء، قال ابن حجر: وفي رواية أخرى هي رواية أبي رجاء: «استوخموا المدينة». وهو بمعنى «اجتووا» وللمصنف في كتاب الطب: «إن ناسًا كان بهم سقم قالوا: يا رسول الله، آونا وأطعمنا، فلما صحوا قالوا: إن المدينة وخمة».

والظاهر أنهم قدموا سِقَامًا فلما صَحُوا من السُّقم كرهوا الإقامة بالمدينة لوخمها، فأما السقم الذي كان بهم فهو الهزال الشديد والجهد، فعند أبي عوانة: «كان بهم هزال شديد»، وعنده أيضًا: «مصفرة ألوانهم»، وأما الوخم الذي شكوا منه بعد أن صحت أجسامهم فهو من حمى المدينة كما عند أحمد من حديث أنس، ووقع عند مسلم من رواية معاوية بن قرة عن أنس: «وقع بالمدينة المُوْمُ» أي البِرْسَام (وهو سريان معرب) أطلق على اختلال العقل، وعلى ورم الرأس، وعلى ورم الصدر، والمراد هنا الأخير، فعند أبي عوانة في هذه القصة: «فعظمت بطونهم».

قوله: «فأمرهم بلِقَاحٍ»، وللبخاري في رواية قتادة: «فأمرهم أن يلحقوا براعية»، وله عن حماد: «فأمر لهم بلِقَاحٍ». وفي رواية أيوب أنهم قالوا: «يا رسول الله أبْغِنا رِسْلاً» أي اطلب لنا لبنًا، قال: ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود».

واللِّقَاحُ: جمع لِقْحَةٍ؛ وهي النوق ذات الألبان، قال الحافظ: قال أبو عمرو: يُقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر، ثم هي لبون. وظاهر ما مضى أن اللقاح كانت لرسول الله ﷺ، وصرح بذلك في كتاب المحاربين: «إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ»، وللبخاري في رواية أخرى في كتاب المحاربين: «فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة والجمع بينهما: أن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة، وصادف بعث النبي ﷺ بلقاحه إلى المرعى طلب هؤلاء النفر الخروج إلى الصحراء لشرب ألبان الإبل فأمرهم أن يخرجوا مع راعيه فخرجوا معه ففعلوا ما فعلوا».

قوله: «وأن يشربوا»: أي وأمرهم أن يشربوا، وللبخاري في رواية أبي رجاء: «فاخرجوا فاشربوا من ألبانها وأبوالها» بصيغة الأمر، وفي رواية شعبة عن قتادة: «فرخص لهم أن يأتوا الصدقة فيشربوا». فأما شربهم ألبان الصدقة فلأنهم من أبناء السبيل، وأما شربهم لبن لِقاح النبي ﷺ فبإذنه المذكور.

قال الحافظ في الفتح: وأما شربهم البول فاحتج به من قال بطهارته، أما من الإبل، فبهذا الحديث، وأما من مأكول اللحم فبالقياس عليه. اهـ.

قوله: «فلما صحوا» في السياق حذف تقديره: «فشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا».

قوله: «واستاقوا النَّعَم» من السَّوْقِ وهو السير العنيف.

قوله: «فجاء الخبر»، وفي رواية وهيب عن أيوب «الصَّرِيخُ» وهو فعيل بمعنى الفاعل أي أنه صرخ بالإعلام بما وقع منهم، وهذا الصارخ أحد الراعيين كما ثبت في صحيح أبي عوانة من رواية معاوية بن قرة عن أنس: «فقتلوا أحد الراعيين وجاء الآخر قد جزع فقال: قد قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل».

قوله: «فبعث في آثارهم». زاد في رواية الأوزاعي «الطلب»، وفي حديث سلمة بن الأكوع: «خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري»، وفي رواية النسائي: «فبعث في طلبهم قافة» جمع قائف وهو الذي يقفو الأثر ويقتصه.

قوله: «فلما ارتفع» فيه حذف تقديره فأُدْركوا في ذلك اليوم فأُخذوا، فلما ارتفع النهار جيء بهم إلى رسول الله ﷺ أُسارَى.

قوله: «فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم»، وفي معظم الروايات فقطع أيديهم وأرجلهم، وللبخاري: ولم

يحسمهم، أي يكون قطع منهم بالنار ليقطع الدم بل تركه ينزف.

قوله: «وسُمِّرتْ أعينهم» بتشديد الميم، وفي رواية أبي رجاء: «وسَمَرَ» بتخفيف الميم، وروايات البخاري كلها بالراء، وأما مسلم ففي رواية عبد العزيز عنده: «سَمَلَ» باللام، قال الخطابي: والسَّمْلُ فقءُ العين بأي شيء كان.

قوله: «وألقوا بالحرة» هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة، وقد ألقوا فيها لأنها بالقرب من المكان الذي فعلوا فيه فَعْلتهم.

قوله: «يَسْتَسقُون فلا يُسْقَوْن». زاد ابن وهب: «حتى ماتوا»، وفي رواية أبي رجاء: «ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا»، وفي رواية شعبة عن قتادة: «يَعَضُّون الحجارة»، وفي الطب قال أنس: «فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت».

ثم ساق ابن حجر أقوال القائلين بنسخ المثلة والنهي عنها، وأقوال القائلين بأن النبي ﷺ إنما فعل بهم ذلك لأنهم كذلك فعلوا بالراعي أو الرِّعاءِ.

قوله: «قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا» لأنهم أخذوا اللقاح من حرز مثلها.

قوله: «وقتلوا» أي الرعاء أو الراعي.

قوله: «وحاربوا الله ورسوله»، ثبت عند أحمد من رواية حميد عن أنس في أصل الحديث: «وهربوا محاربين».

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث غير ما تقدم:

١- قدوم الوفود على الإمام.

٢- نظره في مصالحهم.

٣- مشروعية الطب والتداوي بألبان الإبل وأبوالها.

٤- وأن كل جسد يُطَبُّ بما اعتاده.

٥- قتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة.

٦- المماثلة في القصاص وليس ذلك من المثلة المنهي عنها.

٧- جواز استعمال أبناء السبيل إبل الصدقة في الشرب وغيره.

٨- العمل بقول القائف، وللعرب في ذلك المعرفة التامة.

التداوي بألبان الإبل

هذا، وقد عنون الإمام ابن القيم في زاد المعاد لهذا الحديث بقوله: «فصل في هديه ﷺ في داء الاستسقاء وعلاجه، ثم ساق الحديث برواية الصحيحين، ثم قال: والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء ما رواه مسلم في صحيحه في هذا الحديث أنهم قالوا: إنا اجتوينا المدينة، فعظمت بطوننا، وارتهشت أعضاؤنا، وذكر تمام الحديث. ولقد بحثت في صحيح مسلم فلم أجد هذا اللفظ، وإنما لفظ: «اصفرت ألوانهم وعظمت بطونهم» كما سبق بيانه في رواية النسائي وعند أبي عوانة كما وضحه الحافظ في الفتح.

ونقل ابن القيم عن الرازي قوله: لبن اللقاح يشفي أوجاع الكبد، وفساد المزاج، ونقل عن الإسرائيلي قوله: «لبن اللِّقاح أرقُّ الألبان، وأكثرها مائية وحدَّةً، وأقلها غذاءً، فلذلك صار أقواها على تلطيف الفضول وإطلاق البطن، وتفتيح السدود، ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التي فيه لإفراط حرارة حيوانية بالطبع، ولذلك صار أحض الألبان بتطرية الكبد، وتفتيح سددها، وتحليل صلابة الطحال إذا كان حديثًا، والنفع من الاستسقاء خاصة إذا استعمل لحرارته التي يخرج بها من الضرع، مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد في ملوحته، وتقطيعه الفضول وإطلاق البطن.

ثم نقل عن صاحب القانون (ابن سينا): ولا يلتفت إلى ما يقال، من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء. قال: واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق، وما فيه من خاصية، وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنسانًا أقام عليه بدل الماء والطعام شُفِيَ به، وقد جرب هذا في قوم دُفِعوا إلى بلاد العرب، فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعوفوا، وأنفع الأبوال: بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب. اهـ.

« من الأبحاث الطبية الحديثة »

في مـقـال بجـريدة الاتحـاد في عـددها ٩٥١٥ بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٤ تتناول دراسة الدكتور محمد مراد في مجال الطب والصحة إلى أنه في الماضي استخدم العرب حليب الإبل في معالجة الكثير من الأمـراض ومنهـا: أمـراض المعـدة، والأمـعـاء، والاستسقاء، وأمراض الكبد، وخاصة اليرقان، وتليف الكبد، وأمراض الربو وضيق التنفس، ومرض السكرى، كما استخدم لمعالجة الضعف الجنسي، كمـا أنه يسـاعـد على نمو العظام عند الأطفال، ويقوي عضلة القلب، وجاء في دراسته أن أبوال الإبل استـخـدمت - كمادة مطهرة للجروح والقروح، ولنمو الشعر ولتقويته، وتكاثره ومنع تساقطه، وكذا لمعالجة مرض القرع والقشرة. إلخ.

وأشارت دراسات أخرى للباحث «محمد أوهاج» أنه توصل إلى أن بول الإبل يشـفـي من طائفـة من أمراض الجهاز الهضمي، وعلى رأسها التهاب الكبد.ويقول الباحث «محمد أوهاج»: إن التحاليل المخبرية تدل على أن بول الجمل يحتوي على تركيز عالٍ من البوتاسيوم والبولينا والبروتينات الزلالية، والأزمولارتي وكميات قليلة من حمض البوريك والصوديوم والكرياتين، وأوضح الباحث أن الذي دعاه إلى تقصي خصائص بول الإبل العلاجية هو أنه رأى أفراد قبيلة يشربون ذلك البول حينما يصابون باضطرابات هضمية، واستعان ببعض الأطباء لدراسة البول الإبلي فأتوا بمجموعة من المرضى وسقوهم ذلك البول لمدة شهرين وكانت النتيجة أن معظمهم تخلصوا من الأمراض التي كانوا يعانون منها، أي أنه ثبت علميا أن بول الإبل مفيد إذا شُرِبَ على الريق، كما توصل «أوهاج» إلى أن بول الإبل يمنع تساقط الشعر.

وهناك دراسات للدكتور عبد العاطي كامل رئيس بحوث الأبقار بمركز البحوث الزراعية التابع لوزارة الزراعة أثبت فيها أن ألبان الإبل تحتوي على كمية فائقة من فيتامين «ج» وهو الأمر الذي يجعل لألبان الإبل أهمية عظيمة لسكان المناطق الصحراوية التي توجد فيها الخضروات الورقية الطازجة والفواكه، كما أشار الدكتور عبد العاطي كامل إلى أن معدلات الفيتامينات والمعادن في ألبان الإبل تتفوق على مثيلاتها في ألبان البقر والغنم حتى تصل إلى ثلاثة أضعاف ما في البقر والغنم، بل وتصل إلى ضعف ونصف ما في ألبان الأمهات من النساء.

وثَمَّ دراسة لعميد كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة السودانية البروفيسور أحمد عبد الله أحمداني كشف فيها عن تجربة علمية باستخدام (بول الإبل) لعلاج أمراض الاستسقاء وأورام الكبد أثبتت نجاحها لعلاج المرضى المصابين بتلك الأمراض.

وهناك دراسات كثيرة في كثير من البلاد منها في السعودية حتى توصلت الدكتورة أحلام العوضي إلى استخدام بول الإبل في علاج الأمراض الجلدية، وفي اكتشاف آخر توصلت إلى علاج يكافح الأمراض وهو عبارة عن سلالات بكتيرية معزولة من بول الإبل، وهناك مجموعة من الباحثات السعوديات بكلية البنات بجدة تشرف عليهن الدكتورة أحلام العوضي، وأثبتت دراسة لإحدى الباحثات التي تشرف عليها الدكتورة العوضي: أن بول الإبل يحتوي على عدد من العوامل العلاجية كمضادات حيوية (البكتريا الموجودة به، والملوحة واليوريا).

وفي دراسة مصرية أشارت إلى أن ألبان الإبل هي أفضل غذاء للمخ والأعصاب وللوقاية من السكر والكوليسترول.

وأوضح باحثون في كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة أن حليب النوق يحتوي على بروتينات تشبه في عملها هرمون الأنسولين المنظم لسكر الدم إلى جانب العديد من الأملاح المعدنية المفيدة كالفسفور والمنجنيز والحديد والبوتاسيوم، ونبه الباحثون إلى أن لحليب الإبل خصائص طبية كثيرة تجعله مناسبًا لعلاج أمراض الاستسقاء واليرقان ومشكلات الطحال والسل والربو والأنيميا والبواسير، وتحسين وظائف الكبد وأمراض الربو ومرض السكري وعلاج نزلات البرد والنزلات الشعبية إضافة إلى قرحة المعدة والسرطان وأمراض

الكبد والتهاباته.

موقف بعض المسلمين من الطب النبوي

لقد اعتاد كثير من المسلمين وخاصة منهم من تربى تربية غربية أو شرقية - اعتادوا على التنكر لما ينسب إلى دين الإسلام ونبي الإسلام ولا سيما في المجالات الطبية وغيرها، ومع وجود هذه الأبحاث والدراسات، فإن بعض المسلمين لا يزالون يعيشون بمنأى عنها وعن تصديق الرسول ﷺ، فكتب بعضهم يقول: النبي لم يبعث طبيبا وإنما بعث هاديا، وهذه بلا شك كلمة حق ولكن أريد بها باطل، أريد بها رد ما ثبت عن النبي ﷺ من كلام في الطب، وأيد الكاتب كلامه بقوله: يكفينا قول الرسول: «أنتم أعلم بشئون دنياكم». وهنا يتضح ما رمى إليه هذا الكاتب وقد صرح بأن الذين يذهبون إلى التداوي بألبان الإبل وأبوالها أناس خرافيون، يلجأون إلى الخرافة، والكاتب ليس وحده في ذلك وإنما نسمع ونقرأ بين الحين والحين من يردد هذا الكلام ويحاول أن ينتصر له، وينضم إلى أولئك بعض الأطباء؛ ومن يتكلم في ذلك من الأطباء؛ فهو أحد صنفين: إما مشفق على نفسه من انقطاع الرزق بانصراف المرضى عنه، وإما حرصًا على المهنة وعدم تكديرها بشيء خارج عنها فيما يزعم، ولقد رأيت عددًا من الأطباء يذهبون للتداوي بألبان الإبل وأبوالها، فبعضهم يذهب على استحياء، ويتكتم على الخبر لا يريد أن يعرف زملاؤه عنه شيئا، فأحدهم قال لي: إن زميله أشار عليه بعد أن اكتشف ورمًا في الكبد أن يذهب ليبحث عن التداوي بالألبان والأبوال، ولكنه كان متحرجا في أن يشير عليه بذلك ولقد رأيت في رحلتي الأخيرة إلى منطقة مطروح أكثر من مائة وعشرين مريضا يترددون على صاحب مزرعة الإبل التي نشرب فيها اللبن والبول، وهم من جميع فئات الشعب منهم ثلاثة أطباء أحدهم مدير مستشفى مركزي بإحدى محافظات مصر، ومنهم لواءات شرطة ولواءات جيش ومهندسون ومن كل الفئات.

ولكن من تربوا على المكابرة، وردَّ كل ما جاء عن النبي ﷺ يصفونهم بأنهم مخرفون ويستنكرون هذا الدواء، بل إنهم ينكرون أن يكون القرآن شفاءً للأبدان، قائلين إن القرآن نزل هداية، والمراد بالشفاء فيه الهداية من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى... إلخ، وهؤلاء الذين ينكرون شفاء القرآن للأبدان، وينكرون ما ورد عن النبي ﷺ في الطب ويزعمون أن القرآن ما أنزل إلا للهداية وكذلك النبي ما أرسل إلا لهداية الناس، نقول لهم ليتكم اهتديتم في حياتكم بهدي القرآن وبهدي رسول الله ﷺ لكنهم في وادٍ والقرآن والسنة في وادٍ آخر، وأما أن القرآن فيه شفاء للأبدان فهذا ثابت بالقرآن والسنة، وأما أن النبي ﷺ أوصى بأدوية وأشفية فهذا ثابت في الصحيحين وكتب السنن والمسانيد ودواوين الإسلام، كالتداوي بألبان الإبل وأبوالها، وبالحبة السوداء، وبالتلبينة، وبالحجامة، والكحل والإثمد، والمنِّ، والقسط الهندي، وإطفاء الحمى بالماء، إلى غير ذلك.

لكن قومنا اعتادوا ألا يصدقوا شيئا إلا إذا جاء من الغرب أو الشرق أي من الإفرنج، فيثقون فيه ويعملون به، وكأن رسولنا ﷺ أمرنا ألا نصدقه إلا إذا صدقه الغرب، فلو علمنا وفهمنا أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى، ولكن غيره إنما يتكلم بالتجارب والظنون، ثم إننا لو علمنا أن الغرب إنما أخذ عنا هذه العلوم وعمل على تطويرها، وأن الأصل عندنا لوثقنا فيما عندنا وعلمنا أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل، وأفدنا منه، بدلا من البدائل الكيماوية التي تدمر حياتنا وأجسامنا وأصبح ضررها أكثر من نفعها، إن ديننا هو الحق وكلام ربنا حق وسنة نبينا حق، وماذا بعد الحق إلا الضلال!!

نسأل الله تعالى أن يوفقنا والمسلمين لما يحب ويرضى وأن يردنا إلى دينه ردًا جميلا، وأن يهدي ضال المسلمين إلى صراطه المستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

من أحكام الذبائح (٦ - ذبائح أهل الكتاب)

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين... وبعد:

فقد سبق بيان أن الله تعالى جعل الذكاة شرطًا لحل الأكل من الحيوانات كالإبل والبقر والغنم الطيور كالأوز والبط... إلخ.

وعلمنا أن الذكاة تكون فيما يذبح من البقر والغنم ونحوهما، وبالنحر فيما ينحر وهو الإبل، وبها يطيب اللحم ويحل.

إعداد / سعيد عامر

– : ﴿ تحريم ما أهل به لغير الله ﴾ : –

وحرم الله تعالى ما أهل لغير الله به، وهو ما ذكر عليه اسم غير اسمه تعالى، قال سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكل رافع صوته فهو مُهلٌ، وكان العرب في الجاهلية يرفعون أصواتهم عند الذبح بأسماء أصنامهم وأوثانهم، فذلك هو الإهلال.

والمراد من قوله: «لغير الله» الصنم والوثن وغيرهما كالعزير والمسيح والصليب والكعبة، فلا يحل شيء من الذبائح التي أهلَّ بها لغير الله تعالى، ومنها: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

والنصب: هي الأحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها، ولعل ذبحهم عليها كان علامة لكونه للأصنام ونحوها. وقيل: هي الأصنام تنصب فتعبد من دون الله، فالنصب: صنمٌ أو حجر، وكانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده.

– : ﴿ تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ : –

كما حرم الله تعالى ما أهل به لغير الله، حرم ما لم يذكر اسم الله عليه، وجعل ذكر اسمه وحده على الذبيحة شرطًا في حل أكلها سواء أكان الذابح مسلمًا أم كتابيًا، لقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فنهى عن الأكل من متروك التسمية، وعن تركها، وأخبر بأنه فسق، وهو ظاهر في حالة ترك التسمية عمدًا، لا سهوًا، لأن الناسي لا تلحقه سمة الفسق.

وإلى ذلك ذهب الحنفية وأحمد والثوري والحسن.

وذهب داود والشعبي وهو مروي عن مالك وأبي ثور، إلى أن التسمية شرط مطلق لعدم فصل الأدلة بين حالتي العمد والسهو وإليه ذهب ابن حزم في المحلى.

وذهب ابن عباس وأبو هريرة وطاووس والشافعي وهو مروي أيضًا عن مالك وأحمد إلى أن التسمية ليست شرطًا لحل الأكل بل هي سنة.

والتسمية الواجبة هي ذكر الله، والأفضل أن يقول: باسم الله والله أكبر.

ويشترط في التسمية أن تكون من الذابح حتى لو سمى غيره وهو ساكت ذاكرًا غير ناس، ولا يحل عند من أوجب التسمية. [البدائع للكاساني: ٤٨/٥]

٢- أن يريد بها التسمية على الذبيحة، فإن أراد بها التسمية لافتتاح العمل لا يحل.

٣- أن يُعينها؛ لأن ذكر اسم الله عليها لا يتحقق إلا بذلك. [المرجع السابق: ٤٩/٥، ٥٠]

ذبيحة الكتابي:

أما الكتابي فقد قال الإمام مالك: لا تشترط في حقه التسمية؛ لأن الله تعالى أباح ذبائح أهل الكتاب وهو يعلم أن منهم من يترك التسمية.

واشترطها الجمهور في الكتابي:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

طعام الذين أوتوا الكتاب: المراد به ذبائحهم عند الجمهور، وهو الراجح، لا الخبز والفاكهة والمطعومات، فهي مباحة للمؤمنين قبل أن تكون لأهل الكتاب، وبعد أن تكون لهم، فلا وجه

لتخصيصها بأهل الكتاب.

«أهل الكتاب»: المقصود بهم في باب الذبائح اليهودي والنصراني ذميًا كان كل منهما أو حربيًا، ذكرًا أو أنثى، حرًا أو رقيقًا، لا المجوس. [البدائع ٥/٤٥]

وخص هذا الحكم بأهل الكتاب لان المجوس لا يحل أكل ذبائحهم ولا التزوج بنسائهم، وكذلك فإن الوثنيين لا يحل أكل ذبائحهم ولا التزوج بنسائهم لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أما أهل الكتاب، فلهم حكم خاص من حيث الذبائح والنكاح.

ولذلك فإن أطعمتهم التي فيها نجاسة كالخمر والخنزير يجب اجتنابها، فقد ذهب ابن عباس وغيره إلى أن الطعام الذي أحل لنا ذبائحهم.

فعلى هذا تحل ذبيحة أهل الكتاب لأنه كتابي قد ذبح لدينه، وكانت هذه ذبائحهم قبل نزول القرآن وأحلها الله في كتابه.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/٣٠٢) برقم (٧١٥):

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى مع شركهم، وقد كان هذا الشرك موجودًا فيهم وقت نزول القرآن على نبينا ﷺ.

فقد أخبر سبحانه عن تأليه النصارى المسيح عليه السلام وجعلهم إياه إلهًا مع الله يعبدونه معه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، كما أخبر عن اليهود أنهم قالوا عزير ابن الله، وأخبر سبحانه عن أهل الكتاب جميعًا أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأخبرنا سبحانه عن قولهم بالتثليث ونهاهم عنه. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٧١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على شركهم وكفرهم وقت نزول الوحي، وقد سماهم أهل كتاب في غير موضع من القرآن. اهـ.

وفي الفتوى رقم (٦٩٩١ ص٢٩٩) أباح الله للمسلمين أن يأكلوا من طعام الذين أوتوا الكتاب وهو ذبائحهم بقوله في سورة المائدة: ﴿طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، مع أن الله تعالى أخبر عن اليهود والنصارى في نفس السورة بأنهم كفار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وجاء في فتاوى سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/٣٩٦): يجوز أكل ذبائحهم ما لم يعلم أنها ذبحت بغير الوجه الشرعي؛ لأن الأصل حلّها كذبيحة المسلم. اهـ.

ومذهب الجمهور على أن حل ذبائح أهل الكتاب في آية المائدة، مشروط بالإهلال عليها باسم الله وحده. فإذا أهلَّ باسمه تعالى وحده، حلت ذبيحته كالمسلم سواء، وإذا أهل بغيره تعالى حرمت كالمسلم سواء، وإذا لم يعلم هل سمى الله وحده أو سمى الله مع غيره، أو سمى غير الله فقط، فقد حلت ذبيحته.

إذا ذبح اليهودي أو النصراني وذكر غير الله تعالى وأنت تسمع فلا تأكل، فإذا غاب عنك فكل، فقد أحل الله ذلك لك، روى البخاري عن الزهري، لا بأس بذبيحة نصارى العرب، ومن إن سمعته يُسمي لغير الله فلا تأكل، فإن لم تسمعه فقد أحله الله وعلم كفرهم. [الفتح ٩/٥٥٢]، وعن النخعي: إذا توارى عنك فكل، وعن حماد: كُلْ ما لم تسمعه أهلَّ به لغير الله.

وجاء في البدائع (٥/٤٦): وتؤكل ذبيحة الكتابي لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾، والمراد ذبائحهم، وإنما تؤكل ذبيحته إذا لم يشهد ذبحه، ولم يسمع منه شيئًا، أو سمع وشهد تسمية الله تعالى وحده، لأنه إذا لم يسمع منه شيء يُحمل على أنه سمى الله تعالى، وجرّد التسمية تحسينًا للظن به كما بالمسلم، فأما إذا سمع منه أنه سمى المسيح وحده أو مع الله، فإنه لا تؤكل ذبيحته لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾. اهـ. ملخصًا.

وفي المغني لابن قدامة (٨/٤٩٧): فإن لم يعلم أسمى الذابح أم لا، أو ذكر اسم غير الله أم لا، فذبيحته حلال، لأن الله تعالى أباح لنا أكل ذبيحة المسلم والكتابي، وقد علم أننا لا نقف على كل ذابح. اهـ.

وفي المحلى لابن حزم (٩/٤٥٧، ٤٥٨): وكل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم فاسق، أو جاهل، أو كتابي فحلال أكله، لما أخرجه البخاري عن عائشة: أن قومًا قالوا للنبي ﷺ: إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «سموا الله أنتم وكلوا». قالت عائشة: وكانوا حديثي عهد بكفر».

حيث أباح لهم أكله بدون اهتمام بالسؤال عنه، وجملة القول في ذبيحة الكتابي: أنها تحل عند الجمهور إذا لم يُسمع وهو يهل بها لغير الله، بخلاف ما إذا سمع فإنها تحرم، فما يذبحه إذا لم يعلم أنه ذكر اسم الله عليه، أو لم يذكره حلال باتفاق، والله أعلم.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار (٣٠)

ألف حديث كل ثلاث سنوات

إعداد / علي حشيش

٨٧١- «نِعْمَتَانِ مَغْبونٌ[١] فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ والفَراغُ».

[أخرجه[٢]: خ(٦٤١٢)، ت (٢٣٠٤)، هـ (٤١٧٠)، حم (٣٤٤/١) من حديث ابن عباس]

٨٧٢- عن ابْنِ عَمرَ قال: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فقال: «كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإِذَا أَصْبَحتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمرضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لموْتِكَ». [خ (٦٤١٦)، ت (٢٣٣٣)، هـ (٤١١٤)، حم (٢٤/٢، ١٣٢) من حديث ابن عمر]

٨٧٣- «أَعْذَرَ[٣] اللَّه إِلى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَه حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِينَ سَنَةً». [خ (٦٤١٩)، حم (٢٧٥/٢) من حديث أبي هريرة]

٨٧٤- «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِه».

[خ (١٤)، ن (٥٠١٥) من حديث أبي هريرة]

٨٧٥- «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَال المُسْلِمِ غَنَمٌ يتبعُ بِهَا شَعَفَ[٤] الجِبَالِ، وَمَوَاقِعُ القَطْرِ يَفِرُّ بِدينِهِ مِنَ الفِتَنِ». [خ (١٩، ٣٣٠٠، ٣٦٠٠، ٧٠٨٨)، د (٤٢٧٦)، هـ (٣٩٨٠)، ن (٥٠٣٦)، حم (٦/٣، ٣٠، ٤٣، ٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري]

٨٧٦- «إِنَّ الدِّين يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ[٥] الدِّينَ أحدٌ إلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَة وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٦]. [خ (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥) من حديث أبي هريرة]

٨٧٧- عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُم بِلَيْلَةِ القَدْرِ وإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وفُلانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا في السَّبعِ والتسعِ والخَمْسِ». [خ ٤٩، ٢٠٢٣، ٦٠٤٩]، مالك (٧٠٥)، الدارمي (١٧٨١) من حديث عبادة]

٨٧٨- عَنْ أنسٍ عَنِ النبيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وإذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا».

[خ (٩٤، ٩٥، ٦٢٤٤)، ت (٢٧٢٣، ٣٦٤٠) من حديث أنس]

٨٧٩- عَن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النبيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ[٧] فَرُبَّ كاسيةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ».

[خ (١١٥، ١١٢٦، ٣٥٩٩، ٥٨٤٤، ٦٢١٨، ٧٠٦٩)، ت (٢١٩٦) من من حديث أم سلمة]

٨٨٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً». [خ (١٥٧)، ت (٤٢)، د (١٣٨)، ن (٨٠، ١٠١) من حديث ابن عباس]

٨٨١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «تَوضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ». [خ (١٥٨)، حم (٤١/٤) من حديث عبد الله بن زيد]

٨٨٢- إِنَّ رَجُلاً قالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَتستَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: نَعَمْ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ مَضْمَضَ واستَنْثَرَ ثَلاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا؛ ثمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إلى المِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إلى المَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ».

[خ (١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٩)، هـ (٤٣٤) من حديث عبد الله بن زيد]

٨٨٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقاصٍ عَنِ النبيِّ ﷺ أنه مَسَحَ عَلَى الخُفَّيْنِ، وأنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَن ذَلِكَ فقالَ: نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعْدٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلاَ تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَه.

[خ (٢٠٢)، حم (١٥/١) من حديث سعد]

٨٨٤- عَنْ عَمرِو بنِ أمية قال: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْه.

[خ (٢٠٥)، هـ (٥٦٢) من حديث عمرو بن أمية]

٨٨٥- «إذا نَعَسَ أحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ». [خ (٢١٣)، حم (٣/١٥٠) من حديث أنس]

٨٨٦- «إذا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ واحتملها الرجالُ عَلَى أعْنَاقِهِمْ فَإنْ كَانَتْ صَالِحةً قالتْ: قَدِّمُوني، وإنْ كانتْ غيرَ صالحةٍ قالت يَا ويلَهَا أيْنَ يَذْهَبونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شيءٍ إلاَّ الإنسانَ، وَلَو سَمِعَ الإنسان لَصُعِقَ». [خ (١٣١٤، ١٣١٦، ١٣٨٠)، حم (٣/٤١) من حديث أبي سعيد الخدري]

٨٨٧- عَن ابنةِ خَالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ أنَّها سَمِعتِ النبيَّ ﷺ وَهُو يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ.

[خ (١٣٧٦، ١٣٦٤)، حم (٦/٣٦٤) من حديث ابنة خالد بن سعيد]

٨٨٨- عَنِ البَراءِ قال: لمَّا تُوفِّيَ إبراهيمُ قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لَهُ مُرْضِعًا في الجنَّةِ».

[خ (١٣٨٢، ٣٢٥٥، ٦١٩٥)، حم (٤/٣٠٠، ٣٠٢) من حديث البراء]

٨٨٩- «لأنْ يَأخُذَ أحدُكُمْ حَبْلَهُ فَيأتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيبيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْألَ النَّاسَ أعْطَوْهُ أوْ مَنَعُوهُ». [خ (١٤٧١، ٢٠٧٥، ٢٣٧٣)، هـ (١٨٣٦) من حديث الزبير بن العوام]

٨٩٠- «لَيأتِيَنَّ على الناسِ زَمَانٌ لا يُبالي المَرْءُ بِمَا أخذَ المَالَ أمِنْ حَلالٍ أمْ مِنْ حَرامٍ».

[خ (٢٠٨٣، ٢٠٥٩)، ن (٧/٢٤٣) (٤٤٥٤) من حديث أبي هريرة]

٨٩١- «إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ في شَرَابِ أحَدِكُم فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فإنَّ في إحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً والأُخْرَى شِفَاءً».

[خ (٣٣٢٠، ٥٧٨٢)، د (٣٨٤٤)، هـ (٣٥٠٥) من حديث أبي هريرة]

٨٩٢- «كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إنَّ أبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ، أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».

[خ (٣٣٧١)، ت (٢٠٦٠)، (٤٧٣٧)، هـ (٣٥٢٥) من حديث ابن عباس]

٨٩٣- «الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحَاقَ بنِ إبْرَاهِيمَ عليهمُ السَّلامُ». [خ (٣٣٨٢، ٣٣٩٠، ٤٦٨٨)، ت (٣١١٦) من حديث ابن عمر]

٨٩٤- «إنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ».

[خ (٣٤٠٢)، ت (٣١٥١) من حديث أبي هريرة]

٨٩٥- «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». [خ (٣٤٦١)، ت (٢٦٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو]

٨٩٦- «إنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ(١) وإنَّهُ إنْ كَانَ في أُمَّتِي هذه مِنْهم فإنَّه عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ». [خ (٣٤٦٩، ٣٦٨٩)، حم (٢/٣٣٩) من حديث أبي هريرة]

٨٩٧- «إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

[خ (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠)، د (٤٧٩٧)، هـ (٤١٨٣) من حديث عقبة بن عمرو]

٨٩٨- «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إزَارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأرْضِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ».

[خ (٣٤٨٥، ٥٧٩٠)، ت (٢٤٦١)، ن (٥٣٢٦) من حديث ابن عمر]

٨٩٩- «ألاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُم ؟ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأنَا مُحَمَّدٌ». [خ (٣٥٣٣)، ن (٣٤٣٨) من حديث أبي هريرة]

٩٠٠- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إلى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ».

[خ (٣٥٨٣)، ت (٥٠٥) من حديث ابن عمر]

---

(١) رموز «دُرر البحار» (خ): البخاري، (م) مسلم، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (هـ) لابن ماجه، (حم) لأحمد -: وهذه المجموعة من أفراد البخاري.

(٢) مغبون فيهما: أي ذو خسران فيهما حيث لا ينتفع بالصحة والفراغ كالمغبون في البيع.

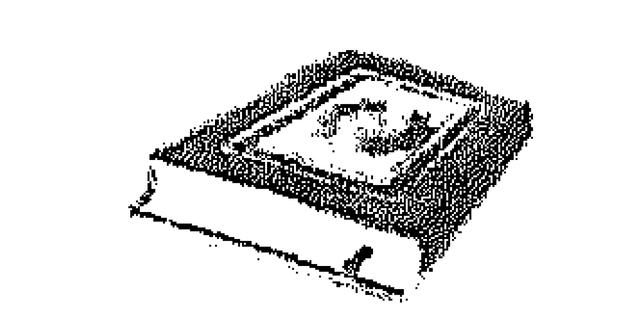
(٣) أعذر: الإعذار أزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار.

(٤) شعف: جمع شعفة وهي رؤوس الجبال.

(٥) المشادة: المغالبة، والمعنى التشطح في الدين.

(٦) الدلجة: سير آخر الليل.

(٧) الحُجَر: منازل أزواج النبي ﷺ.



فضائل سورة البقرة

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن بعض فضائل سورة البقرة، وكان آخرها تعظيم الصحابة لها، واليوم نكمل - إن شاء الله تعالى - بقية فضائل هذه السورة الكريمة:

٦- تخصيصها مع الفاتحة بأنهما نوران:

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم: فنزل منه ملك فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنُورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيتهُ».

قال القرطبي: قوله: «سمع نقيضًا من فوقه» أي صوتًا. والنقيض: صوتُ الباب عند فتحه- وقوله: «بنورين» أي: بأمرين عظيمين، نيّرين، تُبيِّن لقارئهما، وتنوره، وخُصَّت الفاتحةُ بهذا، لما ذكرناه: من أنها تضمنت جملة معاني الإيمان والإسلام والإحسان، وعلى الجملة: فهي آخذة بأصول القواعد الدينية.

وخُصَّت خواتيم سورة البقرة بذلك؛ لما تضمنته من الثناء على النبي ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم، بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها وابتهالهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم، ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموا فخفِّف عنهم، وغفر لهم ونُصروا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبعُه.

٧- كفاية آيتين منها لمن قرأهما:

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

قال ابن حجر في الفتح (١٠/٦٨): قوله (كفتاه) أي أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل: معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً، وقيل: معناه كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم، وذكر الكرماني عن النووي أنه قال: كفتاه عن قراءة سورة الكهف وآية الكرسي، كذا نقل عنه جازمًا به، ولم يقل ذلك النووي وإنما قال ما نصه: قيل: معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات ويحتمل من الجميع. هذا آخر كلامه. انتهى.

قال ابن حجر: «وعلى هذا فأقول: يجوز أن يراد جميع ما تقدم، والله أعلم».

وروى مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: لقيتُ أبا مسعُود الأنصاري عند البيت، فقلت: حديثٌ بلغني عنك في الآيتين من سُورة البقرة. فقال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة،

من قرأهما في ليلة كفتاه».

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «الآيتان ختم بهما سورة البقرة لا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان». [أخرجه أحمد والترمذي والنسائي والدارمي والبغوي في شرح السنة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي]

من فوائد الآيتين من آخر سورة البقرة:

الآية الأولى وهي: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

١- من فوائد الآية: أن محمدًا ﷺ مكلف بالإيمان بما أنزل إليه، ولهذا قال ﷺ: «أشهد أني رسول الله» في قصة دين جابر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري.

٢- ومنها: أن القرآن كلام الله، لقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ والمنزل هو الوحي، والكلام وصف لا يقوم إلا بمتكلم، لا يمكن أن يقوم بنفسه، وعلى هذا يكون في الآية دليل على أن القرآن كلام الله - الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ.

٣- ومنها: إثبات علوّ الله عز وجل، لأن النزول لا يكون إلا من أعلى، لقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾.

٤- ومنها: إثبات رسالة النبي ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾، وقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾.

٥- ومنها: أن المؤمنين تبع للرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وجه التبعية أنه ذكر ما آمن به قبل أن يذكر التابع - أي أنه لم يقل: «آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه»، وهذا يدل على أنهم أتباع للرسول ﷺ لا يستقلون بشريعة دونه.

٦- ومنها: أنه كلما كان الإنسان أقوى إيمانًا بالرسول ﷺ كان أشد اتباعًا له، وجهه أنه تعالى قال: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، يعني: والمؤمنون آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ من ربه، وعليه فكل من كان أقوى إيمانًا كان أشد اتباعًا.

٧- ومنها: أن الإيمان بالرسل ليس فيه تفريق، لا نقول مثلاً: نؤمن بمحمد ﷺ ولا نؤمن بعيسى لأن عيسى من بني إسرائيل، ونحن لا نفرق بين الرسل (لا نفرق) بقلوبنا وألسنتنا (بين أحد من رسله)، فالكل عندنا حق، فمحمد ﷺ صادق فيما جاء به من الرسالة، وعيسى ابن مريم عليه السلام صادق، وموسى عليه السلام صادق، وصالح عليه السلام صادق، ولوط عليه السلام صادق، وإبراهيم عليه السلام صادق، وهكذا، لا نفرق بينهم في هذا الأمر أي في صدق رسالتهم، والإيمان بهم، ولكن نفرق بينهم فيما كلفنا به: فنعمل بشريعة محمد ﷺ، وأما شريعة أولئك فما جاءت شريعتنا بخلافه فالعمل على ما جاءت به شريعتنا؛ لأنه منسوخ، وأما ما لا يخالف شريعتنا فاختلف العلماء في العمل به، والصحيح أنه يعمل به، وبسط ذلك في أصول الفقه، وليعلم أن التوراة التي بأيدي اليهود اليوم، والإنجيل الذي بأيدي النصارى لا يوثق بهما، لأنهم حرّفوا وبدلوا، وكتموا الحق.

٨- ومنها: أن من صفات المؤمنين السمع والطاعة، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١- ٥٢].

والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يسمع ولا يطيع، بل هو معرض، ولم يرفع لأمر الله ورسوله رأسًا.

القسم الثاني: من يسمع ولا يطيع، بل هو مستكبر، اتخذ آيات الله هزوًا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة:٩٣]، وهذا أعظم جرمًا من الأول.

القسم الثالث: من يسمع ويطيع وهؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا سمعنا وأطعنا، وقال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

٩- ومنها: أن كل أحد محتاج إلى مغفرة الله، لقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ﴾، فكل إنسان محتاج إلى المغفرة - حتى النبي ﷺ محتاج إلى المغفرة، ولهذا

قال النبي ﷺ : «لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة». قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة». [رواه مسلم]

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢،١].

وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، واعلم أن الإنسان قد يكون بعد الذنب أعلى مقامًا منه قبل الذنب، لأنه قبل الذنب قد يكون مستمرئًا للحال التي كان عليها، وماشيًا على ما هو عليه معتقدًا أنه كامل، وأنه ليس عليه ذنوب، فإذا أذنب، وأحس بذنبه رجع إلى الله، وأناب إليه وأخبت إليه فيزداد إيمانًا، يرتفع مقامه عند الله، وهذا كثيرًا ما يقع، إذا أذنب الإنسان عرف قدر نفسه وأنه محتاج إلى الله ورجع إلى الله وأحس بالخطيئة، وأكثر من الاستغفار، وصار مقامه بعد الذنب أعلى من مقامه قبل الذنب.

الآية الأخيرة من البقرة، وهي: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

١- من فوائد الآية: بيان رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، حيث لا يكلفهم إلا ما استطاعوه.

٢- ومنها: إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم وهي: لا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة.

٣- ومنها: أن الإنسان لا يحمل وزر غيره، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

٤- ومنها: يسر الدين الإسلامي، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

فالقادر على القيام في الفريضة يلزمه القيام، والعاجز عن القيام يصلي قاعدًا، والعاجز عن القعود يصلي على جنب، وكذلك القادر على الجهاد ببدنه يلزمه الجهاد ببدنه إذا كان الجهاد فرضًا، والعاجز لا يلزمه، وكذلك القادر على الحج ببدنه وماله يلزمه أداء الحج ببدنه، والعاجز عنه ببدنه عجزًا لا يرجى زواله القادر بماله يلزمه أن ينيب من يحج عنه والعاجز بماله وبدنه لا يلزمه الحج.

٥- ومنها: أن للإنسان طاقة محدودة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فالإنسان له طاقة محدودة في كل شيء، في العلم والفهم، والحفظ، فيكلف بحسب طاقته.

٦- ومنها: رحمة الله سبحانه وتعالى بالخلق، حيث علمهم دعاءً يدعونه به، واستجاب لهم إياه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

٧- ومنها: أن النسيان وارد على البشر، والخطأ وارد على البشر، وجهه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال تعالى: «قد فعلت»، وهذا إقرار من الله سبحانه وتعالى على وقوع النسيان والخطأ من البشر.

٨- ومنها: امتنان الله على هذه الأمة برفع الآصار التي حملها على من قبلنا لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ فقال الله تعالى: «فقد فعلت».

٩- ومنها: أن من كان قبلنا مكلفون بأعظم مما كلفنا به؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

١٠- ومنها: أنه ينبغي للإنسان سؤال الله العفو؛ لأن الإنسان لا يخلو من تقصير في المأمورات، فيسأل الله العفو عن تقصيره، لقوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ وسؤال الله المغفرة من ذنوبه التي فعلها؛ لقوله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ لأن الإنسان إن لم يُغفر له تراكمت عليه الذنوب، ورانت على قلبه، وربما توبقه وتهلكه.

١١- ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله أن يرحمه في مستقبل أمره، فيعفو عما مضى ويغفر ويرحم في المستقبل لقوله تعالى: ﴿وَارْحَمْنَا﴾.

١٢- ومنها: أن المؤمن لا وليَّ له إلا ربه، لقوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾.

إلى غير ذلك من الفوائد التي احتوت عليها الآية. والله أعلم.

خاتم الأنبياء والمرسلين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تحدثت في اللقاء السابق عن عموم بعثة النبي ﷺ وشيء من عفوه ورحمته، وأواصل في هذا اللقاء الحديث حول هذا الموضوع فأقول:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ - قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»، فهو هنا - ﷺ - لم يقابل جفاء الأعرابي وشدته وقسوته عليه بما فعل، بل التفت إليه وضحك، وزاد على ذلك أن أعطاه شيئًا من المال.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قِبَلَ نجد، فأَرْكنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العَضَاة[1]، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صَلْتًا[3] في يده، فقال لي: من يمنعك مني ؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني ؟ قال: قلت: الله. قال: فشام السيف[4]، فها هو جالس»، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[5]، ومع هذا العفو والصفح كان من أشجع الناس، بل إنه قد بلغ فيها مكانة عظيمة لم يصل إليها أفذاذ الأبطال كخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب وغيرهما ممن عرفوا بالبطولات والشجاعات النادرة، ففي صحيح مسلم عن أبي إسحاق قال: جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولىَّ، ولكنه انطلق أَخِفَّاءُ من الناس وحُسَّر[6] من هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة، فرموهم برِشْق من نبل، كأنها رِجْلٌ من جراد[7] فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

رحمة من رب العالمين

الحلقة الثالثة

إعداد

د. عبدالله شاكر الجنيدي

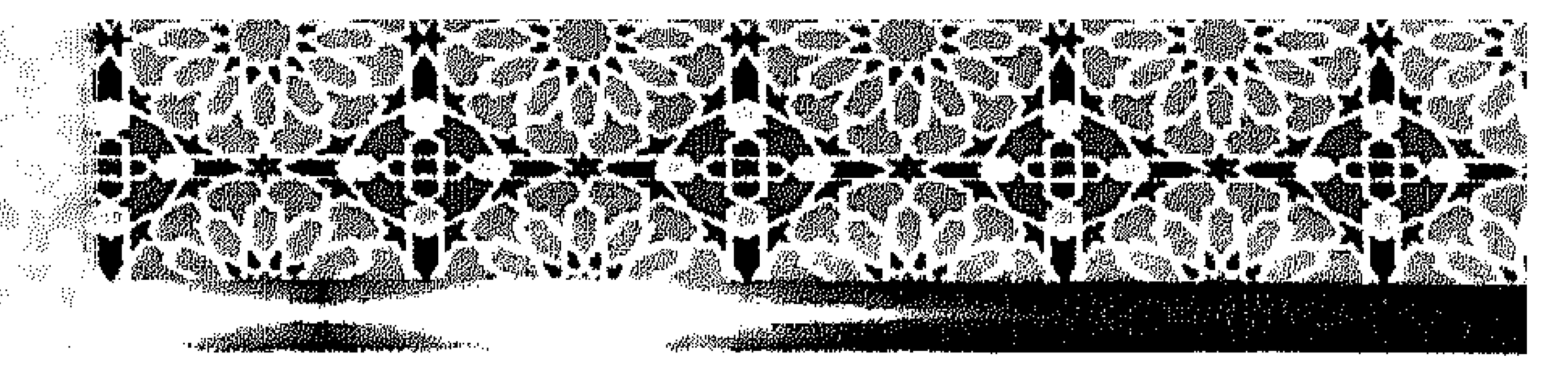
نائب الرئيس العام

«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. اللهم نَزِّلْ نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يُحَاذِي به، يعني النبي ﷺ، وهذا الجواب الذي أجاب به البراء - رضي الله عنه - من بديع الأدب، لأن تقدير الكلام: أفررتم كلكم؟ فيقتضي أن النبي ﷺ وافقهم في ذلك، فقال البراء: لا والله ما فر رسول الله ﷺ، ولكن جماعة من الصحابة جرى لهم كذا وكذا(٨)، وقول النبي ﷺ - في الحديث عن نفسه: أنا ابن عبد المطلب، ونسب نفسه إلى جده دون أبيه؛ لأن شهرته بجده أكثر، وقد توفى عبد الله شابًا في حياة أبيه عبد المطلب، وكان عبد المطلب مشهورًا شهرة ظاهرة شائعة، فإن قيل: كيف يقول النبي ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب» مع أنه لا يجوز أن يضاف عبدٌ إلا الله عز وجل ؟ فالجواب: إن هذا ليس إنشاءً، بل هو خبر، فاسمه عبد المطلب ولم يسمه النبي ﷺ، ولا يعد هذا إقرارًا ولكنه خبر عن أمر واقع، والحديث يفيد أن النبي ﷺ ثبت في الميدان شجاعًا قويًا، حتى ثاب إليه أصحابه، وقاتل بهم حتى انتصر نصرًا ساحقًا على أعدائه، وأمسوا في قبضته، ولهذا الموقف نظيره في أحد أيضًا، ومثل هذه المواقف تدعو أصحاب البصائر إلى وجوب الإيمان برسالته واتباع دينه توخيًا للحق، وطلبًا للنجاة من العذاب، وفوزًا بالنعيم المقيم الذي أعده رب العالمين لمن آمن وصدَّق واتبع خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ولقد أخذ الله العهد الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا بالنبي ﷺ إذا بعث فيهم، وأن هذا شرع شرعه وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال القاسمي رحمه الله: «اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعًا لعذرهم وإظهارًا لعنادهم، ومن جملتها ما ذكره الله تعالى في هذه الآية، وهو أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم، وإن كان ناسخًا لبعض

أحكامهم بما دلت الحكمة على اقتضاء الزمان ذلك، آمنوا به ونصروه أيضًا، ولا يمنعهم ما هم فيه من العلم والنبوة من اتباع شرعه ونصره، وأخبر أنهم قبلوا ذلك، وحكم بأن من رجع عن ذلك كان من الفاسقين...، وقد روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس – رضي الله عنهما :-ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ومن أثر علي هذا فهم بعض العلماء اختصاص هذا الميثاق نبينا ﷺ كما نقل القاضي عياض في الشفاء عن أبي الحسن القابسي قال: اختص الله تعالى محمدًا ﷺ بفضل لم يؤته غيره أبانه به، وهو ما ذكره في هذه الآية»[٩].

وقد غضب النبي ﷺ حينما رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوراقًا من التوراة وأخبر أنه لو اتبع أحد موسى – عليه السلام – بعد بعثته ﷺ لكان من الضالين. ففي مسند أحمد عن عبد الله بن ثابت رضي الله عنه قال: جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله – يعني ابن ثابت – فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: رضينا بالله تعالى ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسرى عن النبي ﷺ وقال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»[١٠].

فالرسول ﷺ إذًا هو النبي الخاتم الذي لو وجد في أي عصر لكان هو الواجب الطاعة والاتباع المقدم على غيره من جميع الأنبياء والمرسلين، وكان إمامهم لما اجتمعوا ببيت المقدس ليلة الإسراء، وقد أخبر الله في كتابه أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده ولكنهم يكتمون الحق مع وضوحه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقد شهد بعض علماء أهل الكتابين بالنبوة والرسالة لرسول الهدى والرحمة ﷺ واتبعوه ودخلوا في دينه، وأكتفي هنا بذكر شهادة بعضهم، ففي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ – فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهن جبريل آنفًا». فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني



عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه(11).

وشهادة عبد الله بن سلام وهو من أعلام اليهود قبل إسلامه لمن أعظم الشهادات لنبينا ﷺ بالنبوة والرسالة، وقد بينت هذه الشهادة أن اليهود قوم بهت وأصحاب ضلالات وانحرافات استحقوا بها غضب الله عليهم، نعوذ بالله من الخذلان. وللحديث صلة إن شاء الله.

---

(1) البخاري كتاب اللباس (ج١٠/٢٧٥).
(2) هي كل شجرة ذات شوك.
(3) صلتا: بفتح الصاد وضمها، أي: مسلولاً.
(4) فشام السيف يعني: غمده ورده في غمده.
(5) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب ٨٤ جـ٦/٩٦، ومسلم في كتاب الفضائل باب ٤ (ج٥/١٧٨٦) واللفظ له.
(6) أخفاء من الناس وحسر: فسر في رواية أخرى بأنهم شباب خرجوا مستعجلين ليس عليهم سلاح ولا معهم دروع، وقد واجهوا قومًا رماة من المشركين.
(7) يعني كأنها قطعة من جراد. قال في النهاية: الرجل بالكسر: الجراد الكثير.
(8) انظر شرح النووي على مسلم جـ١٢/١١٧ .
(9) محاسن التاويل جـ٤ /٨٧٥ - ٨٧٦ .
(10) مسند أحمد جـ٤/٢٦٥، ٢٦٦ .
(11) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب احاديث الأنبياء باب ١ جـ٦/٣٦٢ .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه، وبعد:

فإن الخطيب والواعظ له دور كبير وأثر بالغ في بيئته ومجتمعه وسامعيه وقومه، فهو قرين المربي والمعلم، ورجل الحسبة والموجّه، وبقدر إحسانه وإخلاصه يتبوأ من قلوب الناس مكانًا، ويضع الله له قبولاً قد لا يزاحمه فيه أصحاب الوجاهات ولا يدانيه فيه ذوو المقامات، ومردُّ ذلك إلى حسن الإجادة، وجودة الإفادة والقدرة على التأثير المكسو بلباس التقوى والمُدَثَّر بدثار الإخلاص والورع.

وهذه كلمات في النموذج الأمثل في إعداد الخطبة وصفات الخطيب، وقد حرصت أن تكون شاملة لخصائص الخطيب والخطبة ووجوه التأثير في الخطبة وإحسان إعدادها مقدمًا لذلك بمقدمة في مهمة الخطيب الشاقة وتعريف الخطبة وأنواعها وبيان أثرها.





الاستعداد الكافي للخطيب:

مهمة الخطيب مهمة شاقة ولا ريب، مشقة تحتم عليه أن يستعد الاستعداد الكافي في صواب الفكر وحسن التعبير وطلاقة اللسان وجودة الإلقاء.

مطلوب من الخطيب أن يُحَدِّثَ الناس بما يمسُّ حياتهم ولا ينقطع عن ماضيهم، ويردهم إلى قواعد الدين ومبادئه، يبصرهم بحكمه وأحكامه برفق ويُعرفهم آثار التقوى والصلاح في الآخرة والأولى، مهمته البعد عن المعاني المكرورة وجالبات الملل.

الدعوة إلى التجديد والتحديث والبعد عن المكرور، لا يغير من الحقيقة الثابتة شيئًا، وهي أن حياة الناس وأحوالهم في كل زمان ومكان صورة واحدة؛ من تصارع الغرائز، واضطراب النفوس، وغليان الأحقاد، وفي مقابل ذلك تلقي أحوالاً من البرود والانصراف والغفلة وعدم المبالاة.

والخطيب عليه أن يُهَدِّئَ الثائر، ويبعث الفاتر، يطفئ ثورة الغريزة ويخفض حدة الأحقاد، ويشيع روح المودة، ويبث الإخلاص والتعاون.

نعم إن حياة الناس صورة معادة وتغيرات متناوبة، فأحداث اليوم هي أحداث الأمس، والبواعث والمثيرات في الماضي هي ذاتها في الحاضر.

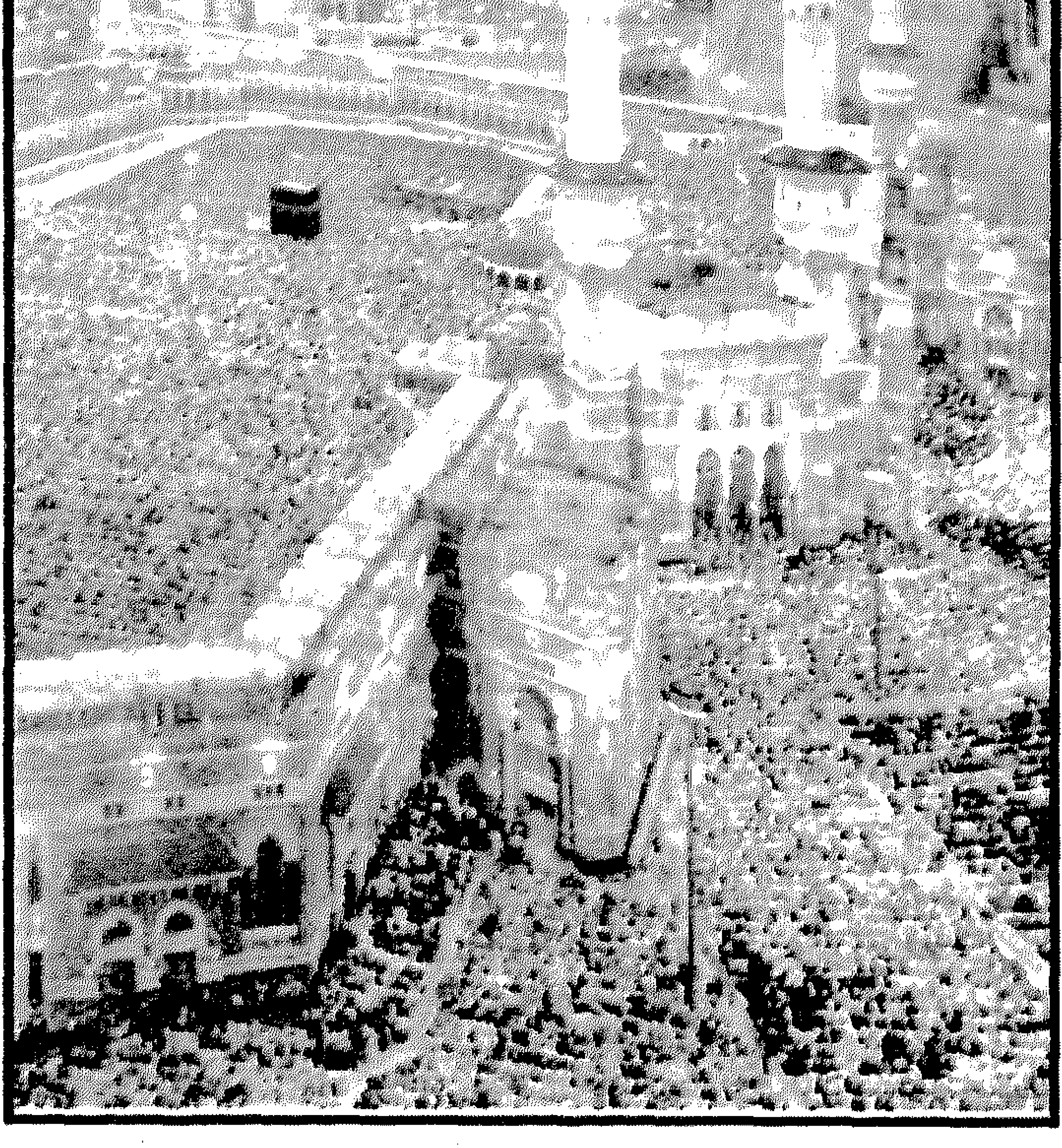
فإنسان الغابة هو إنسان المدنيَّة، غير أن الأول يحارب بحجر والثاني يرمي بقنبلة، والأول قد يقتل واحدًا أو اثنين، والثاني يقتل عشرات ومئات، القوي في الغابة يستولي على مرعى أو بئر، أما قوي المدنية فيستولي على قطر بأكمله، ويأكل قوت شعب بجملته، وشعوب برمتها ويستبدّ بمصادر طاقة، وموارد حياة مصيرية.

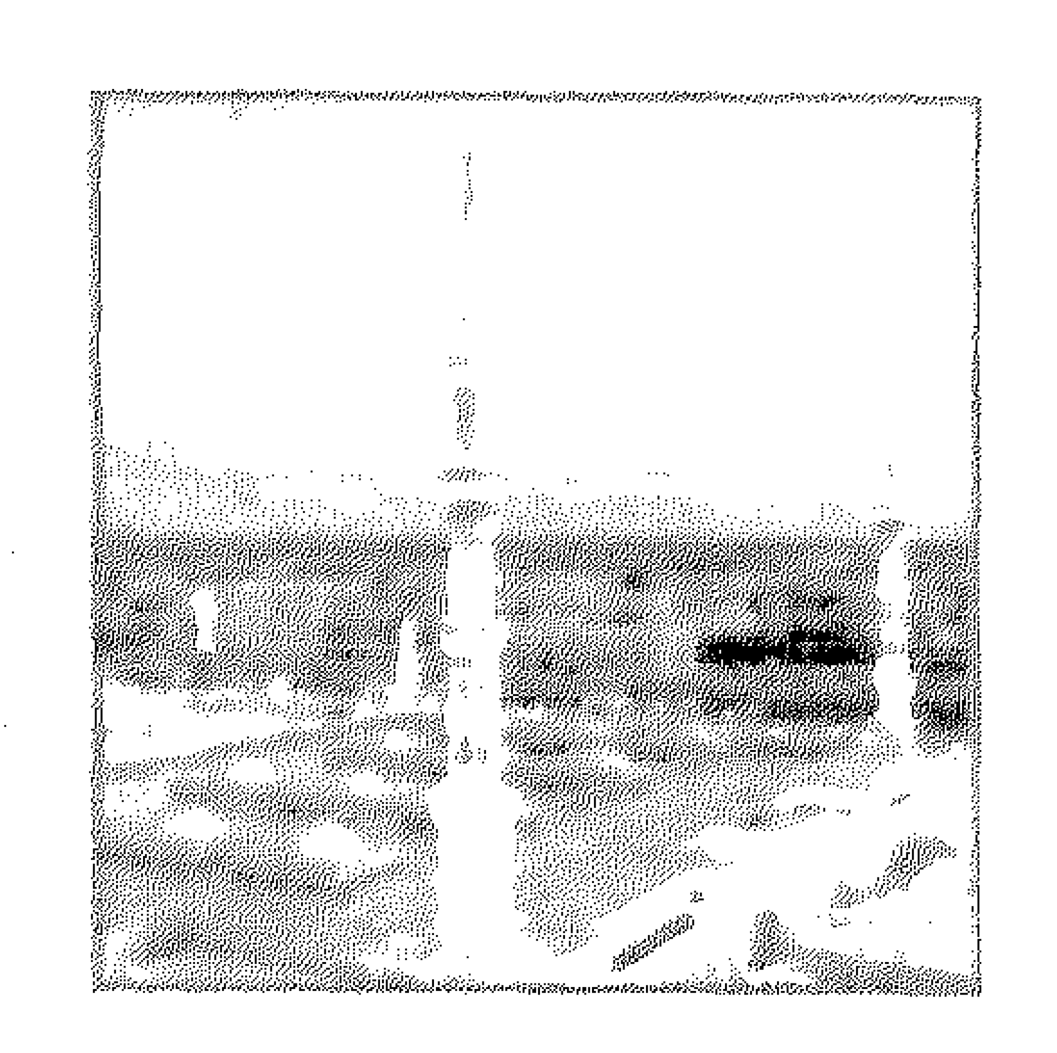
إذا كان ذلك كذلك فكيف يكون الحال لو نجح الدعاة المصلحون في تهذيب الغرائز والتسامي بها.

إنَّ خطيب المسجد وواعظ الجماعة أشد فاعلية في نفوس الجماهير من أي جهاز من أجهزة التوجيه والحكم في المجتمع سواء أكان واليًا أو رجل عسكر أو حارس أمن، إن الجمهور قد يهابون أمثال هؤلاء لكنهم قد لا يحبونهم، أما الخطيب بلسانه ورقة جنانه وتجرده، يقتلع جذور الشر في نفس المجرم ويبعث في نفسه خشية الله، وحب الحق، وقبول العدل، ومعاونة الناس، إن عمله إصلاح الضمائر، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة، وبناء الضمائر الحية، وتربية النفوس العالية في عمل خالص وجهد متجرد، يرجو ثواب الله ويروم نفع الناس.

ومن هذا فإنك ترى أن أداء الخطيب عمله على وجهه يكسوه بهاءً وبِشْرًا، ويرفعه إلى مكان عليّ عند الناس.

ولتعلم أن هذا ليس إطراءً ولا مديحًا، ولكنه تنبيه إلى شرف العمل ومشقته وعظم مسئوليته وثقل رسالته، وما تتطلبه من حسن استعداد وشعور صادق بالمسئولية.







وكيف لا يكون ذلك وهذه هي رسالة الأنبياء والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ولا غرابة أن يصادف إيذاءً وعداءً، وحسبه أن يكون مقبولاً عند الله والصفوة من عباد الله.

مدخل:

لا يقصد من الكتابة عن الخطابة وأسسها ومبادئها وآدابها، أن تكون مادة ليدرسها الدارس لتجعل منه خطيبًا مفوهًا ومتحدثًا مصقعًا، إن الكتابة والأبحاث والمناهج لا تجعل من العييّ فصيحًا ولا اللسان المعقود طليقًا، ولكن هذه الكتابات والدراسات والبحوث نبراس ومنار يضيء لصاحب المواهب والاستعداد مشعلاً ينمي الموهبة ومصباحًا ينير السبيل فلا يكون حاطب ليل.

هذه الكتابات والبحوث يتكون منها علم ينير الطريق ولا يحمل على السلوك، يرشد إلى الدرب ولا يقسر على السير.

وأنت خبير بأن السراج المنير لا يستفيد منه غير البصير، أما ذو الرمد فغير منتفع، ويكفيك إشارة بأن الكاتب في علم الاقتصاد والعالم في أسسه وقواعده قد يكون أقل الناس مالاً وأضعفهم موردًا.

تعريف الخطبة:

الخطبة: بضم الخاء كلام منثور مسجوع ومرسل، أو مزدوج بينهما غايته التأثير والإقناع.

ويقصد بها هنا الخُطب التي تلقى على المنابر يوم الجمعة، بقصد حمل الناس على الخير، وترغيبهم فيه، وصرفهم عن الشر ودواعيه، وتبصيرهم بأحوالهم وواقع أمرهم حسب ما يقتضيه أمر الشرع.

والخطبة من جانب الخطيب مقدرة على التصرف في فنون الكلم، مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه.

أغراضها:

الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، والاستمساك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل، وتسكين الفتن، وفضّ المشكلات، وتهدئة النفوس الثائرة، وإثارة النفوس الفاترة، ترفع الحق، وتخفض الباطل، هي صوت المظلومين، وواعظ الظالمين، ولسان الهداية، ولقد نادى موسى عليه السلام ربه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥- ٢٨]، فجاء الجواب الرباني: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٣٦].

والغرض هنا الإشارات إلى مجمل الأغراض، وسوف يُزاد الأمر بيانًا من خلال الحديث عن أنواع الخطب وخصائص الخطب المنبرية، والفقرة التالية في أثر الخطبة تعطي مزيد بسط في المقصود.

أثرها:

لا يكاد ينجح صاحب فكرة، أو ينتصر ذو حق، أو يفوز داعية إصلاح إلا بالكلمة البليغة، والحجة الظاهرة، والخطبة الباهرة.

الخطيب المفوّه يلحق بحجته، ويسبق إلى غايته، فيعلو سلطانه، ويتسع ميدانه.

ولهذا فإنّ القائد المحنك في الجيش يتميز فيما يتميز بذرابة لسانه وحسن خطابه، فيكون خطيبًا مصقعًا ولسنًا مفهوهًا، ولا يُذكر حين يُذكر إلا منذر الجيش نبينا محمد ﷺ، ومن بعده خطباء أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم من بعدهم من صالح سلف الأمة وأئمتها ممن عَلَوْا المنابر فأصغت لهم الآذان ودانت لهم الرقاب.

ولئن كانت الخطبة في بعض مساراتها طريقًا للمجد الشخصي في نيل غايتها وعظيم أثرها فإنها طريق للنفع العام والإصلاح الشامل.

والخطابة مظهر حضاري للمجتمع الراقي المستنير، يعلو قدرها، ويروج سوقها برقي المجتمع، وانتشار الثقافة فيه، كما أنها تخبو حين ضعفه وذلته.

وثمت جانب في التأثير آخر ينبغي مراعاته، وهو أن تأثير الخطيب في سامعيه ليس بالإلزام أو الإفحام، بل مردّه إلى إثارة العاطفة، وحمل السامع على الإذعان والتسليم، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية تُساق جافة، ولا بالبراهين العقلية تقدم عارية، ولكنه بإثارة العاطفة ومخاطبة الوجدان.

ومن هنا فإنّ الخطيب قد يستغني عن الدلائل العقلية ولكنه لا يمكن أن يستغني عن المثيرات العاطفية، ولعلك تدرك أن أكثر ما يعتمد عليه الخطيب في حمل السامعين على المراد مخاطبة وجدانهم والتأثير في عواطفهم.

إنّ الخطيب المرموق - كما هو معلوم - يأخذ سامعيه باستدراجه اللبق وكلماته الساحرة وصوته العذب المتردد انخفاضًا وارتفاعًا وإثارة وهدوءًا يُنشئ جوًا عاطفيًا مشحونًا، وهذا معين في التأثير لا ينضب ولا يُملّ.

أما البراهين العقلية فجافة تجلب السامة.

وحينما يذكر خطاب العاطفة وأثرها فلا يخطر بالبال أن ذلك يعني دغدغة العواطف بالكذب والتزييف، ومخالفة الأقوال للأفعال، فهذا حبله قصير بل ضعيف واهٍ، وهذا ما سيبدو موضحًا في صفات الخطيب إن شاء الله تعالى.

أنواع الخطبة:

الناظر في أغراض الخطبة ومقاصدها ومتطلبات المجتمع من ذلك يستطيع إدراك أنواعها، وهذا سردٌ لأهم أنواعها:

١- **الخطب النيابية**، وهي الخطب التي تكون في دور النيابة والشورى عاكسة ما يجري داخل هذه القاعات من مناقشات ومداولات وأسئلة واستجوابات مؤيدة ومعارضة.

٢- **الخطب الانتخابية**، وهي خطب تعد وتلقى من أجل الترشيح والتزكية لشخص أو حزب أو مبادئ، مع ما يشتمل عليه ذلك من رد على المعارضين.

٣- **الخطب الثقافية**: وهي ما يلقى في النوادي الثقافية والأنشطة العلمية والجامعية وهي في العادة تتخذ مسارًا ثقافيًا وأدبيًا وعلميًا واجتماعيًا وتوجيهيًا بما يبتعد عن الأغراض السياسية والقضائية والوعظ، وتعلو النبرة فيها بما يعرف بالمعارك الأدبية بين المنتدبين حسب اتجاهاتهم الأدبية، شعرًا ونثرًا وتليدًا وجديدًا وهي في العادة خطب لطبقة مثقفة متأدبة ذات تميز ثقافي خاص.

٤- **الخطب القضائية**، ويظهر هذا النوع في دور القضاء وقاعات المحاكم، حين ينبري المدعون بإلقاء حججهم والسعي في إثبات دعواهم، فيقابلهم المحامون بالدفاع عن موكليهم بأسلوب خطابي بليغ مؤثر ذي ألفاظ منتقاة وإلقاء متميز وحركات مدروسة.

٥- **الخطب العسكرية**: وهي ما يلقيه قائد العسكر على جنده وزملائه بغرض بث الروح المعنوية والقتالية فيهم وبيان شرف موقعهم وكرم موقفهم وشرح خططه العسكرية والميدانية بأسلوب انفعالي مؤثر.

٦- **خطب المنبر والمواعظ**: وهذا هو محل البحث والنظر والتفصيل هنا، وهذا النوع يتجلى في أبهى صوره وكامل هيئته وانتظام شكله في خطب الجمعة المنبرية، وهي خطب أسبوعية دورية تتخذ أغراضًا عدة وترمي إلى مقاصد متنوعة، نشير في هذا التعريف إلى نماذج منها، إذ من المعلوم أن هذه المقاصد والأغراض تتجدد وتتنوع حسب حاجات الناس وتغير الأحوال وتقلب الظروف ودواعي التذكير.

أغراض الخطب المنبرية:

من هذه الأغراض:

أ- تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان.

ب- الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وبيان مزاياه.

جـ- خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات.

د- خطب ذات موضوع خاص أو مسألة مفردة من مسائل الإسلام كالصلاة والصوم وحقوق الوالدين والجوار وحرمة الزنا والخمر والسرقة ونحو ذلك، مما مقصده التذكير والوعظ والتعليم، ونحو ذلك.

هـ- معالجة القضايا المستجدة بنظرة شرعية.

٧- **أنواع أخرى من الخطب**: الأنواع السابقة ليست أنواعًا حاصرة ولكنها تشير إلى الأنواع البارزة السائدة المتميزة في موضوعاتها ومقاصدها، وثمت أنواع أخرى للخطبة غير شهيرة ذات موضوعات ومقاصد أخرى، كخطب النكاح والصلح والمدائح والمراثي والمناسبات الاجتماعية والمحافل الشعبية.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

دراسات شرعية

«القياس»

المصدر الرابع للتشريع

الحلقة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

تحدثنا في اللقاء السابق عن تعريف القياس لغة واصطلاحًا، وضربنا أمثلة بيَّنا بها أركان القياس وكيفيته، وعن حجية القياس وضوابطه، ثم ذكرنا أن للقياس أقسامًا متعددة لعدة اعتبارات، أولاً: باعتبار العلة ينقسم إلى أقسام ثلاثة: قياس العلة، وقياس الدلالة، والقياس في معنى الأصل، ونواصل البحث إن شاء الله.

ثانيًا: القياس باعتبار قوته وضعفه:

١- القياس الجلي: وهو أقوى أنواع القياس ويسمى بمفهوم الموافقة، وهو ما قُطع فيه بنفي الفارق المؤثر بين الأصل والفرع، أو ثبتت العلة فيه بالنص أو الإجماع.

ومن أمثلة ذلك: لا فرق بين من بال في الماء الراكد، ومن بال في إناء ثم صبه في الماء الراكد.

-إحراق مال اليتيم وإغراقه قياسًا على أكله في الحرمة الثابتة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

وكما قلنا هو أقوى أنواع القياس لكونه مقطوعًا به، وهو متفق عليه.

٢- القياس الخفي: وهو القياس الذي ثبتت علته بالاستنباط، أو هو ما لم يقطع فيه بنفي الفارق، ولم تكن علته منصوصًا عليها، أو مجمعًا عليها.

ثالثًا: تقسيم آخر للقياس باعتبار قوة العلة:

مبنى القياس - كما ذكرنا - اشتراك الفرع مع الأصل في العلة، إلاَّ أن العلة قد تكون في الفرع أقوى منها في الأصل أو أضعف منها أو مساوية لها، فينتج عن هذا ثلاثة أقسام:

١- قياس الأولى:

وهو ما كانت علة الفرع أقوى منها في الأصل، فيكون ثبوت حكم الأصل للفرع أولى من ثبوته للأصل بطريق أولى.

مثال: قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ [الإسراء:٢٣].

فالنص يحرم التأفيف للوالدين، والعلة هي ما في هذا اللفظ من الإيذاء، وهذه العلة موجودة في ضرب الوالدين أو سبهما بشكل أقوى وأشد مما في الأصل، فيكون تحريم ضرب الوالدين أو سبهما بالقياس على موضع النص، وبالنظر إلى أركان القياس الأربعة:

١- الأصل (المقيس عليه): التأفيف.

٢- الفرع (المقيس): الضرب أو السب.

٣- حكم الأصل: النهي (التحريم).

٤- العلة الجامعة: الإيذاء.

٢- القياس المساوي: وهو ما كانت العلة التي بنى عليها الحكم في الأصل موجودة في الفرع بقدر ما هي متحققة في الأصل.

مثال: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

فالنص يحرم أكل مال اليتيم ظلمًا، وإحراق مال اليتيم ظلمًا يساوي واقعة النص والعلة (علة الحكم هي الاعتداء على مال اليتيم وإتلافه عليه)، فيكون حكم حرقه كحكم أكله ظلمًا، وتطبيق أركان القياس الأربعة:

١- الأصل (المقيس عليه): الاعتداء على مال اليتيم.

٢- الفرع (المقيس): حرق مال اليتيم.

٣- حكم الأصل: التحريم.
٤- العلة الجامعة: إيذاء اليتيم في الاعتداء على ماله.

٣- قياس الأدنى: وهو ما كان تحقق العلة في الفرع أضعف وأقل وضوحًا مما في الأصل، وإن كان الاثنان متساويين في تحقق أصل المعنى الذي به صار الوصف علته، كالإسكار، فهو علة تحريم الخمر وقد يكون على نحو أضعف في نبيذ آخر (كالبيرة مثلاً)، وإن كان في الاثنين صفة الإسكار.

رابعا: تقسيم القياس باعتبار محله:

١- **القياس في التوحيد والعقائد:** اتفق أهل السنة على أن القياس لا يجري في التوحيد إن أدى إلى البدعة والإلحاد وتشبيه الخالق بالمخلوق وتعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإنما يصح القياس في باب التوحيد إذا استدل به على معرفة الصانع وتوحيده، ويستخدم في ذلك قياس الأولى، لئلا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها (القياس الشمولي)، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، ولئلا يتماثلان أيضًا في شيء من الأشياء (القياس التمثيلي أو قياس المثل)، بل الواجب أن يُعلم أن كل كمال - لا نقص فيه بوجه - ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقصٍ وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه (قياس الأولى).

٢- **القياس في الأحكام الشرعية:**

منع البعض إجراء القياس في جميع الأحكام الشرعية؛ لأن في الأحكام ما لا يعقل معناه فيتعذر إجراء القياس في مثله، وهذا غير صحيح، بل كل ما جاز إثباته بالنص جاز إثباته بالقياس، لأنه ليس في هذه الشريعة شيء يخالف القياس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن كان متبحرًا في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالنصوص والأقيسة.

وقال ابن القيم: إنه ليس في الشريعة شيء يخالف القياس، ولا في المنقول عن الصحابة الذي لا يعلم لهم فيه مخالف، وأن القياس الصحيح دائر مع أوامرها ونواهيها وجودًا وعدمًا.

خامسا: تقسيم القياس باعتبار الصحة والبطلان:

وينقسم إلى ثلاثة أنواع: صحيح وفاسد ومتردد بينهما:

الأول: القياس الصحيح: وهو ما جاءت به الشريعة في الكتاب والسنة، وهو الجمع بين المتماثلين.

ويعرف ذلك إمَّا بعدم وجود فارق مؤثر بين الأصل والفرع، ومثال الفارق غير المؤثر: وقوع الفأرة في السمن، فإن النبي ﷺ قال: «ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم».

فالأصل هي الفأرة، ومثال الفرع الهرة، فإذا سقطت في سمنٍ كان حكمها حكم الفأرة، لأن الفارق بينهما غير مؤثر.

وإمَّا أن يعلق الشارع الحكم على معنى مشترك، ومعنى ذلك أن ينص الشارع على حكم لمعنى من المعاني، ويكون ذلك المعنى موجودًا في غيره، فإذا قام دليل على أن الحكم متعلق بالمعنى المشترك بين الأصل والفرع سوي بينهما (مثل حرمة الخمر لعلة الإسكار)، وكان هذا قياسًا صحيحًا، ودائمًا القياس الصحيح يوافق دلالة النص، فلا يوجد نص يخالف قياسًا صحيحًا.

الثاني: القياس الفاسد: وهو قياس يُعلم فساده، وهو مضاد للقياس الصحيح، ويعلم فساد القياس بأمور:

أ- تخصيص الحكم بمورد النص: ومثال ذلك أن الحج خُص بالكعبة، وأن صيام الفرض خُص به شهر رمضان، وأن الاستقبال في الصلاة خُص به الكعبة، وأن المفروض من الصلوات خُص به الخمس... وهكذا.

ب- أو إذا دل النص على فساده فهو فاسد.

جـ- أو إذا ألحق منصوصٌ بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد.

د- أو إذا سوى بين شيئين أو فرق بينهما، بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله، فقياسه فاسد.

الثالث: القياس المتردد بين الصحة والفساد:

فلا يقطع فيه بالصحة أو الفساد، فهذا يُتوقف فيه حتى يتبين الحال، فيقوم الدليل على الصحة أو الفساد.

- فلفظ القياس إذن لفظ مجمل يدخل فيه الصحيح والفاسد، ولذلك لا يصحُّ إطلاق القول بصحته أو ببطلانه، ولهذا تجد في كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين، وتجد في كلامهم أيضًا استعماله والاستدلال به، وهذا حق وهذا حق، فمراد من ذمه القياس الباطل (الفاسد)، ومراد من استعمله

واستدل به القياس الصحيح.

أدلة القياس:

أولاً: أدلة الكتاب: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢].

في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

-فالاعتبار في اللغة من العبور، ومنها عبرت النهر: أي انتقلت من جهة إلى الجهة الأخرى.

-الآية جاءت في الحديث عن بني النضير الذين كفروا بالله وحادوا الرسول ﷺ فأصابهم الله بما كفروا.

وجه الاستدلال: أن الله تبارك وتعالى يرشد عباده في كل زمان ومكان بان عقوبة من كفر بالله وحاد الرسول ﷺ أن يصيبه ما أصاب بني النضير، وهذا قياس واضح، لأن القياس هو إلحاق حكم الأصل بالفرع لعلة جامعة بينهما.

الأصل (المقيس عليه): بنو النضير.

الفرع (المقيس): الناس في كل زمان ومكان.

حكم الأصل: العذاب والنكال.

العلة الجامعة: الكفر ومعاداة الرسول ﷺ.

فمتى وجدت هذه العلة في الفرع الحق به حكم الأصل (وهذا يسمى بالاستدلال بالمعين على العام).

-قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠].

سوق الآيات التي تحمل القصص عن الأمم السابقة وما حاق بهم من عذاب بما كفروا بآيات الله، إرشاد من الله تبارك وتعالى بالاعتبار بهم وعدم مماثلتهم، وإلا حاق بنا ما حاق بهم.

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ووجه الاستدلال: تشبيه إعادة الخلق بابتدائه.

-وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٦].

ووجه الاستدلال تشبيه إعادة الخلق بإحياء الأرض بعد موتها.

ونظير ذلك آيات كثيرة تأمر بالاعتبار والاستفادة من الأمثال المضروبة وأخذ الأحكام منها، وأن للنظير حكم نظيره.

-ومن الأقيسة الصحيحة في القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وذلك لما قال اليهود: إن عيسى لا يمكن أن تلده مريم إلا من رجل زنا بها، فقالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

فالله تعالى قاس لهم هذا الولد (عيسى عليه السلام) على آدم بجامع أن آدم لم يكن له أم ولا أب، فالذي خلق آدم بغير أبوين قادر على أن يخلق عيسى من أم بلا أب.

-كما استدل سبحانه بقياس الأولى واستدل بأن من خلق السماوات والأرض لا يعجز عن خلق الإنسان الصغير بعد الموت:

قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٢٩].

وكذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ جوابًا لمن قال ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى استدل على ما أنكره منكروا البعث بالقياس، فقاس سبحانه وتعالى إعادة المخلوقات بعد فنائها على بدء خلقها وإنشائها أول مرة، لإقناع الجاحدين بأن من قدر على بدء الخلق أول مرة قادر على أن يعيده، بل هذا أهون عليه.

فهذا الاستدلال بالقياس إقرار لحجية القياس وصحة الاستدلال به.

-وهذه الآيات الدالة على حجية القياس أيدها في دلالتها أن الله سبحانه وتعالى في عدة آيات من آيات الأحكام قرن الحكم بعلته، مثل قوله تعالى في المحيض: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، وقوله في إباحة التيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾. لأن في هذا إرشادًا إلى أن الأحكام مبنية على المصالح ومرتبطة بالأسباب، وإرشاده إلى أن الحكم يوجد مع سببه وما بني عليه.

ثانيًا: أدلة السنة:

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من نور كتاب الله

الصبر على الطاعات سبب لدخول الجنات

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[الرعد ٢٢:٢٤]

من هدي رسول الله ﷺ

من تجاوز عن المعسر تجاوز الله عنه

عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان رجلاً موسرًا و كان يخالط الناس و كان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر «وهو الذي عليه دين ولا يستطيع السداد» فقال الله عز و جل لملائكته: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه.

[جامع الترمذي]

من دلائل النبوة

الله يحفظ نبيه من إغواء الشيطان

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) (مرضعته). فقالوا إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: فكنت أرى أثر المخيط في صدره.

[رواه مسلم]

من فضائل الصحابة

استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعى لي أبا بكر، أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا. فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقولَ قائل أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». [رواه مسلم]

حكم ومواعظ

عن بلال بن سعد قال: إن المعصية إذا خَفِيت لم تضرُ إلا صاحبِها و إذا أُعْلِنَتْ فلم تُغَيَّرْ ضرَّت العامةَ. و في رواية ابن بشران: إن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا عاملِها و إذا ظهرت ضرَّتِ العامة.

وعن الحسن بن عبد العزيز الجردي قال: عاتب رجلٌ أخاً له فقال: هل دللتني قطُّ على مريض؟ هل دللتني قط على جنازة؟ هل دللتني على خير ؟

وعن ابن المبارك قال: إنه ليعجبني من القراء كلُّ طلْقٍ مِضْحَاك، فأما من تلقاه بالبشر و يلقاك بالعبوس - كأنه يمن عليك بعمله - فلا أكثر اللهُ في القراءِ مِثْلَهُ.

[شعب الإيمان]

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: «ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة». [رواه البخاري]

واحة

من آداب الصحبة

عن الحسين الوراق قال: سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال: الصحبة مع الله بحسن الأدب و دوام الهيبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه و سلم باتباع سنته و لزوم ظاهر العلم، و الصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة، والصحبة مع الأهل بحسن الخلق، و الصحبة مع الإخوان بدوام البشر و الانبساط ما لم يكن إثماً، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم و الرحمة عليهم و رؤية نعمة الله عليك أنه لم يبتلك بما أبلاهم به. [شعب الإيمان]

من آثار المعاصي

قال ابن القيم: ومن عقوباتها أنها تنسي العبد نفسه فإذا نسي نفسه، أهملها وأفسدها وأهلكها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وأنساهم أنفسهم، ونسيانه سبحانه للعبد إهماله وتركه وتخليه عنه، وأما إنساؤه نفسه فهو إنساؤه لحظوظها العالية وأسباب سعادتها وفلاحها وإصلاحها، وهذا من أعظم العقوبة للعامة والخاصة، فأي عقوبة أعظم من عقوبة من أهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها وأسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم. [الجواب الكافي باختصار]

من مكائد الشيطان

ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس، ولا تريهم بشرا ولا طلاقة فيطمعوا فيك ويتجرءوا عليك وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أدعيتهم وميل قلوبهم إليك ومحبتهم لك، فيأمرك بسوء الخلق، ومنع البشر والطلاقة مع هؤلاء، وبحسن الخلق والبشر مع أهل البدع أو النساء، فمتى كشفت لهما بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتهما بوجه عابس وقيت شرهما فيفتح لك بذلك باب الشر ويغلق عنك باب الخير. [إغاثة اللهفان باختصار]

من الطب النبوي
التلبينة

عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ: كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تَلْبِينَة فطبخت، ثم صنع ثَرِيد فصبت التَّلْبِينَة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (التَّلْبِينَة مُجِمَّة مريحة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن). التلبينة: حساء يتخذ من دقيق الشعير وربما جعل بعسل أو لبن وشبهه باللبن لبياضه. و لماء الشعير منافع جمة لا تخفى على الأطباء.

أخطاء في العقيدة
من أول الخلق؟

من الخطأ الاعتقاد أن الله تعالى خلق أول ما خلق نور محمد ﷺ، و الأحاديث التي في هذا الباب أحاديث موضوعة وضعيفة؛ كحديث جابر: «أول ما خلق يا جابر نور نبيك»، أو حديث «أول ما خلق الله نوري ». قال السيوطي: في الحاوي: ليس له إسناد يعتمد عليه وحديث كنت نبيا و آدم بين الطين والماء قال السخاوي لم أقف عليه والصحيح أن أول مخلوق الماء ثم العرش ثم القلم وفي الصحيح أنه قال: " كان الله ولم يكن شئ قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شئ وخلق السماوات والأرض" قال ابن حجر: معناه أنه خلق الماء سابقًا ثم خلق العرش علي الماء وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ: " كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن " فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش. والله أعلم.

حدث

حدث في مثل هذا الشهر (جمادى الآخرة)

غزوة العشيرة سنة ٢ هـ

ثم خرج ﷺ في جمادى الآخرة في مائة وخمسين من المهاجرين يعترضون عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام. وخرج في ثلاثين بعيرا يتعاقبونها. فبلغ ذات العشيرة من ناحية ينبع. فوجد العير فاتته بأيام. وهي التي خرجوا لها يوم بدر لما جاءت عائدة من الشام.

زواج عثمان بأم كلثوم بنت النبي ﷺ سنة ٣ هـ

تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية وأدخلت عليه في جمادى الآخرة من هذه السنة. [البداية والنهاية]

غزوة ذات السلاسل سنة ٨ هـ

وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان. قال ابن سعد: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسًا وأمره أن يستعين بمن مر به، فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث له سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو: إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وطئ بلاد قضاعة فدوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم. ولقي في آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم..

فائدة فقهية: وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص وكانت ليلة باردة فخاف على نفسه من الماء فتيمم وصلى بأصحابه الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟». فأخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال إني سمعت الله تعالى يقول:«ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما» فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا.

استخلاف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٣ هـ

استخلف عمر بن الخطاب في يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. ولي الخلافة بعهد من أبي بكر قال الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة وقام بالأمر أتم قيام، وكثرت الفتوح في أيامه :ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة وحمص وبعلبك صلحا والبصرة والأبلة كلاهما عنوة. [البداية والنهاية - تاريخ الخلفاء]

وفاة الخليفة المجاهد الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ

قال الذهبي: أقام الجهاد في أيامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب.إ.هـ ومع هذه الفتوحات العظيمة كان يختن الأيتام (يعني مجانا)، ويرتب لهم المؤدبين (المعلمين)، ويرتب «أصحاب الأمراض المزمنة» من يخدمهم، وللأضراء (جمع ضرير وهو الأعمى) من يقودهم وعمَّر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم، وضبط الأمور أتم ضبط.

وقال ابن أبي علبة: رحم الله الوليد! وأين مثل الوليد؟ افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس. ولي الوليد الخلافة بعهد من أبيه في شوال سنة ٨٦، وفي سنة ٨٧ شرع في بناء جامع دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه، وفيها فتحت بيكند وبخارى وسردانية ومطمورة وقميقم وبحيرة الفرسان عنوة. وفي سنة ٨٨ فتحت جرثومة وطوانة. وفي سنة ٨٩ فتحت جزيرتا منورقة

وميورقة ، وفي سنة ٩١ فتحت نسف وكش وشومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان . وفي سنة ٩٢ فتح إقليم الأندلس بأسره ومدينة أرماييل وقتربون . وفي سنة ٩٣ فتحت الديبل وغيرها ثم الكرح وبرهم وباجة والبيضاء وخوارزم وسمرقند والصفد . وفي سنة ٩٤ فتحت كابل وفرغانة والشاش وسندرة وغيرها . وفي سنة ٩٥ فتحت الموقان ومدينة الباب ، وفي سنة ٩٦ فتحت طوس وغيرها .. ثم مات في نصف جمادى الآخرة من السنة نفسها وله ٥١ سنة ، بعد عشر سنوات هي عمر خلافته . رحم الله الوليد! وأين مثل الوليد ؟؟؟ [تاريخ الخلفاء]

انتثار الكواكب كيوم القيامة سنة ٣٠٠هـ

وورد الخبر بانخساف جبل بالدَّيْنُور يعرف بالتل، وخروج ماء كثير من تحته أغرق عدة من القرى، ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر، وورد كتاب من صاحب البريد يذكر أن بغلة وضعت فلوة، وفيها كثرت الأمراض والعلل والعفن، ببغداد في الناس، وكلبت الكلاب والذئاب في البادية، وكانت تطلب الناس والدواب والبهائم فإذا عضت إنسانا أهلكته، ومدت دجلة مدا عظيما، وكثرت الأمطار، وتناثرت النجوم في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة تناثرا عجيبا كلها إلى جهة واحدة نحو خراسان. [المنتظم لابن الجوزي]

بلاء شديد بذنوب الناس سنة ٣٢٢هـ

قال ابن الجوزي في المنتظم: وفي شهر آيار تكاثفت الغيوم واشتد الحرُّ جدا فلما كان آخر يوم منه وهو الخامس والعشرون من جمادى الآخرة منها هاجت ريح شديدة جدا وأظلمت الأرض واسودت إلى بعد العصر ثم خفَّت ثم عادت إلى بعد العشاء الآخرة. [البداية والنهاية]

تحكم العبيديين الروافض في تغيير الأذان سنة ٣٦٠هـ

أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد وسائر المساجد (حي على خير العمل) بعد حي على الفلاح أمرهم بذلك جعفر بن فلاح أول نائب للعبيديين على دمشق ولم يقدروا على مخالفته ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بُدا ، وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى وأن يقولوا في الاقامة حي على خير العمل فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تعالى. [البداية والنهاية]

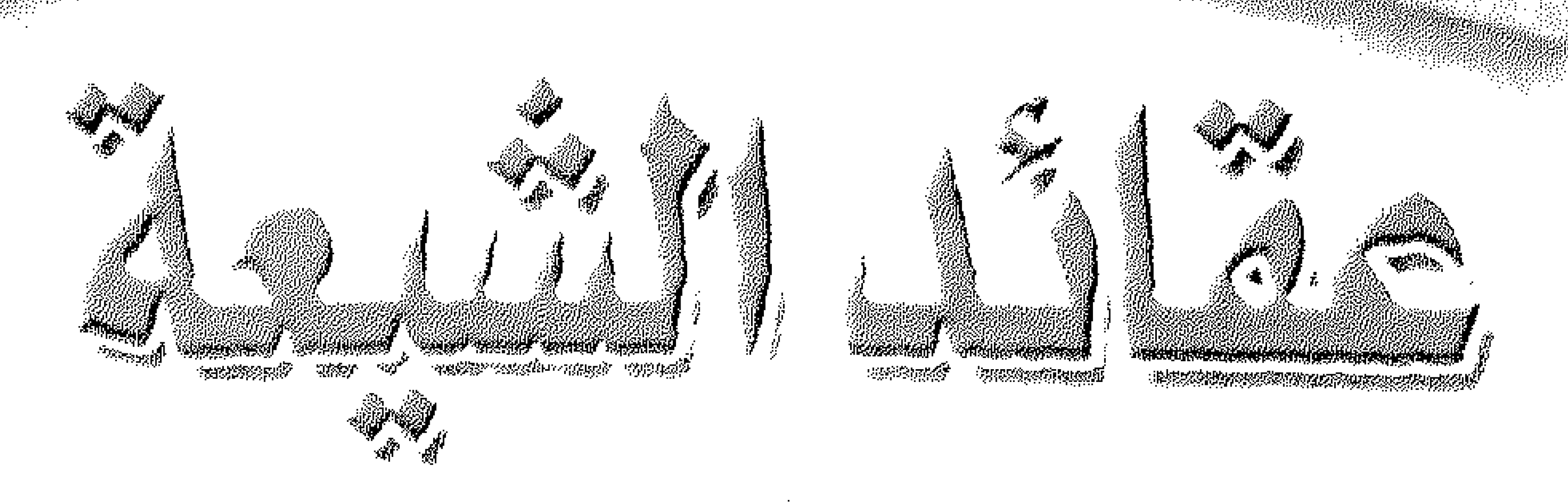
عجيبة في وفاة بديع الزمان الهمذاني سنة ٣٩٨هـ

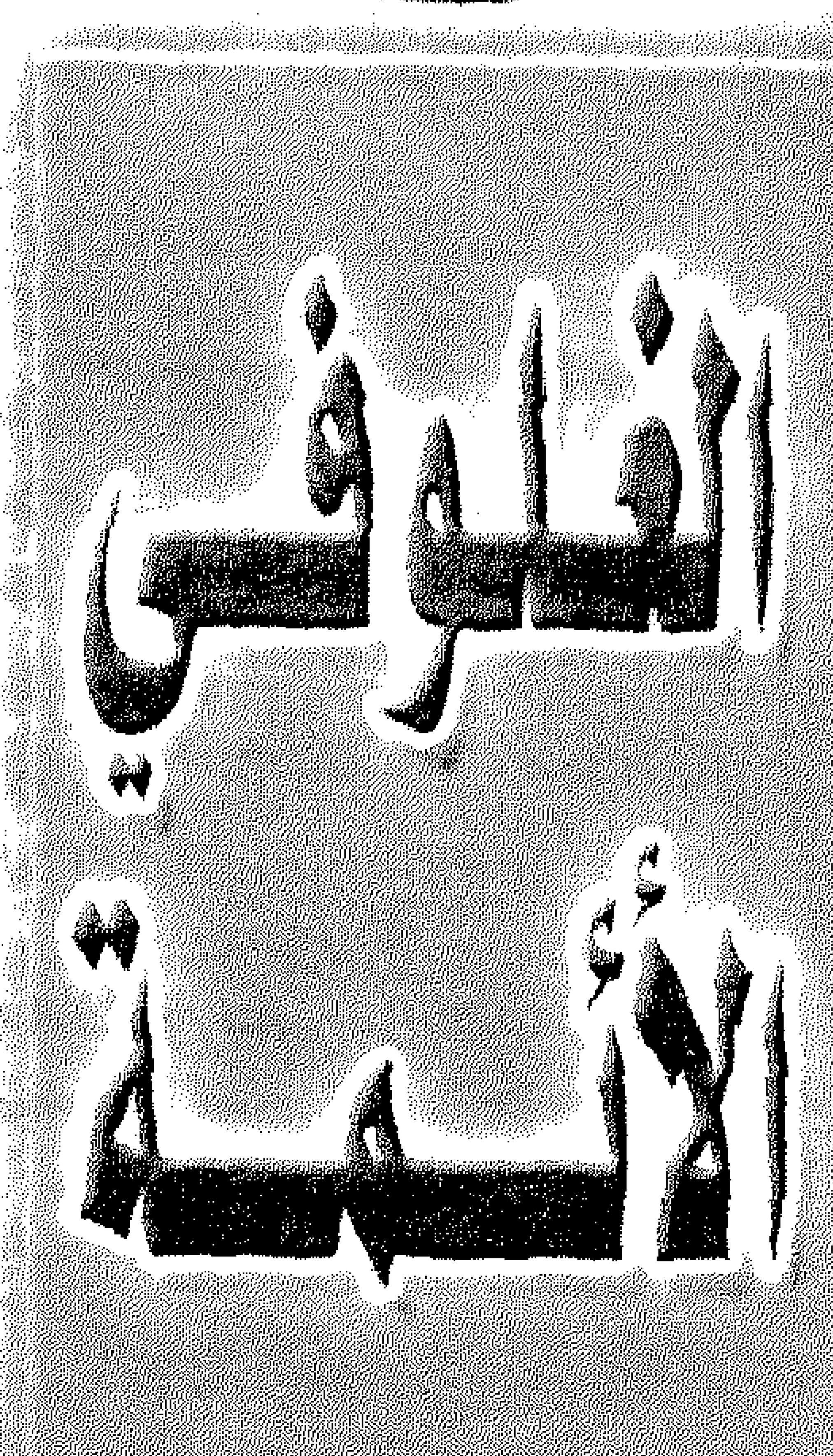
صاحب المقامات أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري واقتفى أثره وشكر تقدمه واعترف بفضله وقد كان أخذ اللغة عن ابن فارس ثم برز، وكان أحد الفضلاء الفصحاء ، ويقال إنهُ سُمَّ وأخذ سكتة فدُفن سريعا ثم عاش في قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فإذا هو قد مات وهو آخذ على لحيته من هول القبر وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة منها رحمه الله تعالى . [البداية والنهاية]

عجائب وغرائب سنة ٤٤٨هـ

قال ابن الجوزي : وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع وفي عرض نحو الذراع ولبث كذلك إلى النصف من رجب ثم اضمحل وذكروا أنه طلع مثله بمصر فملكت وخطب بها للمصريين وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكت وخطب بها للمصريين ، وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة محمد وعلي خير البشر ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة وذلك أن نوء الرافضة اضمحل لأن بني بويه كانوا حكاما وكانوا يقوونهم وينصرونهم فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم وجاء بعدهم قوم آخرون . [البداية والنهاية]









الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

ففي سلسلة حديثنا عن الشيعة وخطرهم على الأمة تحدثنا في الحلقة السابقة عن اعتقاداتهم الفاسدة في صحابة رسول الله ﷺ وفي هذه الحلقة نتحدث عن صور من غلوهم في الأئمة، من خلال كتبهم وكلام شيوخهم، وذلك تحذيرًا للأمة وإبراءً للذمة، ولتستبين سبيل المجرمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، فنقول مستعينين بالله:

أولا: عصمة الأئمة عند الشيعة:

يعتقد الشيعة أن أئمتهم معصومون من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها حتى السهو والنسيان، فإنهم معصومون من كل ذلك من ولادتهم إلى وفاتهم.

قال محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية ص٩١: «ونعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان».

ويقول أيضًا: «بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى».

ويقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية ص٩١: «نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظًا لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم».

ويقول عالمهم الزنجاني في كتابه عقائد الاثنى عشر ١٥٧/٢



ما نصه: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقاعدة الكلية في هذا: ألا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ بل الخلفاء يجوز عليهم الخطأ». [مفتاح السنة (١٩٦/٦)]

ثانيا: تفضيل الأئمة الاثني عشر على الأنبياء عليهم السلام:

إنهم لا ينظرون إلى أهل البيت رضي الله عنهم كما ينظر إليهم أهل السنة، فأهل البيت عندهم هم الأئمة الاثنا عشر حيث يفضلونهم على الأنبياء نعم يفضلونهم على أنبياء الله عليهم السلام!!

يقول أحد مشايخهم وهو السيد أمير محمد الكاظمي القزويني في كتابه «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» ص٧٣ : «الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء».

ويقول آية الله السيد عبد الحسين وهو أحد أعوان الخميني في كتابه (اليقين ص٤٦): «وأئمتنا الاثنا عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء باستثناء خاتم الأنبياء ﷺ ولعل أحد أسباب ذلك هو أن اليقين لديهم أكثر».

والخميني (في كتابه الحكومة الإسلامية ص٥٢) يعتقد أن لهم مقامًا لا يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل، وقد نقل عبارته غير واحد من كتاب ومفكري أهل السنة، وقبل هؤلاء شيخهم محمد بن عليّ بن الحسين القمي الملقب عندهم بالصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا وشيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي في كتاب الفصول المهمة.

وهذا نص كلام الخميني «فإن للإمام مقامًا محمودًا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

لاحظ أيها القارئ أن كلامهم كله مجرد زعم ليس فيه مقال الله أو قال الرسول.

ويقول العاملي النباطي البياضي في كتابه «الصراط المستقيم» (١٠١/١): في مساواة أمير المؤمنين لجماعة النبيين: «موسى أحيا الله بدعائه قومًا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]، وأحيا لعليّ أهل الكهف وروي أنه أحيا سام بن نوح وأحيا له جمجمة الجلندى ملك الحبشة».

ويقول البياضي (١٠٢/١): «وعليّ سلّمتْ عليه الحيتان وجعله الله إمام الإنس والجان».

ويقول أيضًا في صراطه (١٠٥/١): «قال له أصحابه - أي عليّ -: إن موسى وعيسى كانا يُريان المعجزات فلو أريتنا شيئا لنطمئن إليه فأراهم عليه السلام جنات من جانب وسعيرًا من جانب وقال أكثرهم: سحر، وثبت اثنان فأراهم حصى مسجد الكوفة ياقوتا فكفر أحدهما وبقي الآخر».

وفي الموضع المذكور من صراطه المستقيم!!! قال: «اختصم خارجي وامرأة فعلى صوته فقال له عليه السلام: اخسأ فإذا رأسه رأس كلب».

وقال البياضي (١٠٧/١): «لما رجع من صفين كلم الفرات فاضطربت وسمع الناس صوتها بالشهادتين والإقرار له بالخلافة، وفي رواية عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنه ضربها بقضيب فانفجرت وسلمت عليه حيتانها وأقرت له بأنه الحجة».

وأورد البياضي (١٠٥/١) رواية طريفة أيضا إليك نصها: «قال عليّ لرجل قد حمل جروا: قد حمل هذا إسرائيليا فقال الرجل: متى صار الجُرَيّ (تصغير جرو وهو ولد الكلب) إسرائيليًا؟ فقال عليه السلام: إن الرجل يموت في اليوم الخامس فمات فيه ودفن فيه فرفس عليه السلام قبره برجله فقام قائلا: «الراد على عليّ كالراد على الله

ورسوله
فقال: عد في قبرك فعاد فانطبق عليه».

وهذه من المصائب والبلايا التي أوردها زين الدين العاملي النباطي البياضي والتي لم ينكرها عليه آية الله المرعشي وهو أحد مراجع الشيعة المعاصرين وهو يقدم للكتاب ويترجم للمؤلف مما يدل على قبوله لها ولغيرها من الخرافات التي لم يتعقبه عليها.

فقال مادحًا كتاب «الصراط المستقيم» الذي أخذنا منه النقول السابقة: «ومن أحسن ما رأيته في هذا المضمار بحيث لا يُعد في عَدّه من النمط الأول والصف المقدم، هو كتاب «الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم» للعلامة البحاثة المتكلم النحرير الشيخ زين الدين أبي محمد عليّ بن يونس العاملي النباطي البياضي قدس الله لطيفه وأجزل تشريفه.. ولعمري إنه الكتاب العجيب في موضوعه.

وصدق فهو كتاب عجيب بالفعل في ضلالاته وانحرافاته عن الصراط المستقيم الذي سمى به كتابه زورًا وبهتانًا.

ثالثا: صفة خلق الأئمة عند الشيعة:

قال الخميني في (كتابه زبدة الأربعين حديثًا ص٢٣٢): «اعلم أيها الحبيب، أن أهل بيت العصمة عليهم السلام، يشاركون النبي ﷺ في مقامه الروحاني الغيبي قبل خلق العالم، وانوارهم كانت تسبح وتقدس منذ ذلك الحين وهذا يفوق قدرة استيعاب الإنسان، حتى من الناحية العلمية.

قال: وورد في النص الشريف «يا محمد، إن الله تبارك وتعالى، لم يزل منفردًا بوحدانيته، ثم خلق محمدًا وعليا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون أو يحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تعالى، ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد».

وسئل التبريزي في تعليقاته وفتاويه جـ٣ ص٤٣٨: هل هناك خصوصية للزهراء عليها السلام في خلقتها؟

أجاب التبريزي: نعم، فإن خلقتها كخلقة سائر الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) بلطف من الله سبحانه وتعالى، حيث ميزهم في خلقهم عن سائر الناس.. وكانت فاطمة (ع) في بطن أمها محدثة وكانت تنزل عليها الملائكة بعد وفاة الرسول ﷺ.

من الفتاوى المضلة للشيعة

وسئل المرجع الشيعي الميرزا حسن الحائري في كتابه الدين بين السائل والمجيب ج٢ ص٢١٩: ما حكم المتقدم على ضريح المعصوم (ع) في الصلاة، أي يكون الضريح خلف المصلي في داخل الحرم الشريف؟ وما رأيكم بالنسبة إلى الشهداء والصالحين من أبناء المعصومين؟ وما الحكم إذا صلى جنب الضريح المقدس؟

أجاب الحائري: «لا يجوز التقدم على ضريح المعصوم في الصلاة، والصلاة باطلة، باتفاق من علماء الإمامية، لأن الحكم بعد وفاتهم كما كان حال حياتهم، وأما الصلاة أمام ضريح أبي الفضل العباس (ع) مثلا، خلاف احترامه، وجسارة بمقامه. ولا بأس بالصلاة في جانبي ضريح المعصوم، ما لم يتقدم على قبره المطهر الذي في داخل ضريحه...».

رابعا: الشيعة يخلعون على أئمتهم صفات الألوهية

لم تتوقف ضلالات الشيعة عند جعل الأئمة فوق الأنبياء والرسل وأنهم معصومون متميزون في خلقتهم عن بقية البشر، بل وصل جرمهم إلى حدٍ خلعوا فيه على أئمتهم صفات الألوهية فزعموا أنهم يعلمون أعمار الناس وآجالهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، ولا تخفى عليهم خافية، إلى غير ذلك من الطامات التي تزلزل لها قلوب الموحدين.

وفي هذه المسألة بالذات لن نكتب نقولاً عن هؤلاء الضُلاَّل من الشيعة لكثرتها لأن جرمهم وضلالهم تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا، ولكننا سنكتفي فقط ونطلب من القارئ الكريم أن يطالع بنفسه عناوين بعض الأبواب من فهارس الكتب المعتبرة عند الشيعة والتي تمثل الحجة لديهم، ليتعرف القارئ على مصائب القوم وعقائدهم الفاسدة، ونترك له الحكم في النهاية، وإلى البيان:

١- بعض الأبواب من فهرس كتاب أصول الكافي للكليني ج١:

باب أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل.

باب أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة.

باب أن الأئمة (ع) إذا شاؤوا أن يعلموا علموا.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم.

باب أن الله عز وجل لم يُعلم نبيه علمًا إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين (ع) وأنه كان شريكه في العلم.

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

باب أن الأئمة (ع) عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها.

باب أن الأئمة (ع) يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (ع).

٢ - بعض الأبواب في فهرس بحار الأنوار لخاتمة المجتهدين محمد باقر المجلسي جـ٢٣ - ٢٧ كتاب الإمامة.

باب: أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد.

باب: أن عندهم جميع علوم الملائكة والأنبياء، وأنهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء، وأن كل إمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله، ولا يبقي الأرض بغير عالم.

باب: أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام.

باب: أحوالهم بعد الموت وأن لحومهم حرام على الأرض وأنهم يرفعون إلى السماء.

باب: أن أسماءهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي واللوح وجباه الملائكة وباب الجنة وغيرها.

باب: أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام.

باب: أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب.

باب: أنهم عليه السلام لا يحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

غلو الشيعة في قبور أئمتهم

٣ - بعض أبواب من فهرس كتاب (كامل الزيارات) لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قلوية.

الباب (٩١): ما يستحب من طين قبر الحسين عليه السلام وأنه شفاء.

الباب (٩٣): من أين يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام وكيف يؤخذ.

الباب (٩٤): ما يقول الرجل إذا أكل طين قبر الحسين عليه السلام.

«وقد صنَّف شيخهم ابن النعمان، المعروف عندهم بالمفيد - وهو شيخ الموسوي والطوسي - كتابًا سماه: (مناسك المشاهد)!!، جعل قبور المخلوقين تُحج كما تحج الكعبة.

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ النبي ﷺ لم يامر بما ذكروه من أمر المشاهد، ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين». [١/٤٧٤-٧٤٦ منهاج السنة لابن تيمية]

وهكذا يظهر لك أن تاليه الأئمة وتقديس القبور والمشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي، فالشيعة أول من بنى مشاهد على القبور وجعلوها شعارهم.

فهؤلاء هم القوم وهذه عقائدهم أعاذنا الله منها ومنهم، وهم بذلك ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

نداء إلى دعاة التقريب

وفي الختام نقول لدعاة التقريب المتباكين على وحدة الأمة ما رأيكم بعدما قرأتم ما سطر في كتب القوم من ضلالات وانحرافات وشركيات؟، أما زلتم مصرون على دعوتكم إلى التقريب والوحدة، وأنه لا فرق بين شيعة وسنة، اترضون أن تتحد الأمة على ضلال؟ فترضون بذلك الناس وتسخطون عليكم رب الناس، ما للعقول أين ذهبت وما للتفكير كيف غاب.

إن وحدة الأمة لا تكون إلا في الاعتصام بالكتاب والسنة، يا دعاة التقريب اتقوا الله وكفاكم تزييفًا للحقائق وتضليلاً للأمة، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

والله من وراء القصد.



أصحاب السبت

إعداد
عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى.

وبعد: قال الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبًا يهود المدينة: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣- ١٦٦].

هذه الآيات الكريمة جاءت في موضوع واحد وقصة واحدة وجاءت آيات سورة الأعراف تفصيلاً لما تقدم في آيات سورة البقرة، والقرية هي (أيلة) وهي التي يدعونها اليوم «إيلات» والسؤال هنا المقصود به سؤال توبيخ وتقريع على عصيانهم لعلهم يتوبون أو يرجعون إلى الحق، ولا يعرضون أنفسهم لعقوبات الله التي نزلت بأسلافهم السابقين، فهذا تقرير للحق الذي أنكره اليهود المعاصرون للنبي ﷺ وتحذير لهم من كتمان الحق فيلحقهم من العقوبة ما نزل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت من قبل، وفي هذه القصة دليل من أدلة صدق النبي «محمد» الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكنهم كتموا نبوته، كما كتموا هذه القصة لما فيها من عار وشنار لما حلّ بأسلافهم من سوء أعمالهم.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي واسأل- يا محمد - هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم، وهذه القرية هي (أيلة) وهي على شاطئ بحر القلزم». اهـ.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «وهذا سؤال توبيخ وتقرير وكان كذلك علامة صدق النبي ﷺ، إذ أطلق الله تلك الأمور التي لا سبيل إلى معرفتها بغير الوحي، وكانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ لأنا من سبط إسرائيل ومن سبط موسى كليم الله ومن سبط ولده عزير فنحن أولادهم، فقال الله لنبيه سلهم - يا محمد - عن القرية، أمَا عذبتهم بذنوبهم عندما غيروا فروع الشريعة؟». اهـ.

[تفسير القرطبي مع تصرف يسير]

وقال أيضًا في موضع آخر: «ورُوي في قصص هذه الآية أنها كانت في زمن داود عليه السلام وأن إبليس أوحى إليهم، فقال: إنما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت واتخذوا

الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج فيأخذونها يوم الأحد». اهـ. تفسير القرطبي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرَّم عليهم الصيد فيه وأمرهم بتعظيمه فإذا كان يوم السبت شرعت لهم حيتانهم ينظرون إليها فإذا انقضى السبت ذهبت وما تعود إلا في السبت المقبل، وذلك بلاءٌ ابتلاهم الله به فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ﴾، وخلاصة ما تقدَّم أن الله سبحانه ابتلى أهل هذه القرية تمحيصًا لهم واختبارًا فكانت الأسماك تأتيهم يوم السبت من كل نوع وتشرع لهم برؤسها، وفي الأيام الأخرى لا يجدون في البحر أي نوع من السمك فاشتد الأمر عليهم، وكانت حياتهم تقوم على الصيد بسبب موقع القرية من شاطئ البحر الأحمر وهم في الأصل قد اختاروا يوم السبت وحرموا على أنفسهم العمل فيه فابتلاهم الله باختبارهم بما سبق.

موقف أهل القرية من هذا الابتلاء:

١- فرقة اعتدت واحتالت وفسقت وكانت هذه الأغلبية، فكانوا يحتالون بوضع شباك يوم الجمعة ليحبس فيها السمك ثم يأخذونه يوم الأحد أو يصنعون حياضًا أو أي حيلة أخرى.

٢- جماعة أخرى وهم الناجون أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصحوا هؤلاء وبينوا لهم سوء فعلهم وحذروهم من عاقبته وقاطعوهم في كل شيء بعدما وجدوا منهم إصرارًا.

٣- جماعة ثالثة يئست من النصح ومن إصلاح المعتدين، بل قالوا للناصحين كما حكى القرآن عنهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

وقد ردّ الناصحون ردًا فيه حكمة وعلم قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني دعونا نستفيد فائدتين الأولى: نؤدي ما أمرنا الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أعذرنا بذلك.

الثانية: لعل الموعظة تأتي بنتيجة مع واحد أو أكثر، والله أعلم.

ماذا كانت النتيجة؟

جاءت النتيجة كما أخبر الله - سبحانه وتعالى-: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، هذه كانت النتيجة نجاة أهل الأمر بالمعروف، وعذب الله الظالمين المعتدين بعذاب بئيس ثم مسخهم قردة خاسئين.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قال الله لهم قولاً قدريًا (كونيًا): ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ لأن القرد أشبه ما يكون بالإنسان، وفعلهم الخبيث أشبه بالحلال؛ لأنه حيلة فالذي يراهم ظاهريًا يقول ما صادوا يوم السبت فالصورة تخالف الحقيقة فصارت العقوبة مناسبة تمامًا للعمل، هذا موقف الطائفة الناجية، والأخرى الهالكة.

موقف الطائفة الثالثة:

يرى بعض المفسرين: أنها لم تنج لأنها لم تنه عن المنكر فضلاً عن أنها لامت الناصحين لغيرهم.

ويرى جمهور المفسرين أنها نجت، لأنها كانت كارهة لما فعله العادون يوم السبت، ولم ترتكب شيئًا مما ارتكبوه، ويرى جماعة أخرى من العلماء أن الواجب السكوت عنهم كما سكت عنهم القرآن ومنهم الشيخ ابن عثيمين حيث قال رحمه الله: «فاختلف العلماء: هل الطائفة الساكتة أُخذت بالعذاب أم أنها نجت ؟ والذي ينبغي أن نسكت كما سكت الله ويسعنا ما في كتاب الله عز وجل». اهـ.

أخي القارئ الكريم: هذا عرض مجمل لأحداث هذه القصة وما زلنا في حاجة إلى ﷺ أخرى معها نتامل أحداثها جيدًا ونستخلص الدروس.

إن المتامل للآيات الست السابقة يجدها تسجل وتكرر على اليهود أوصاف (الظلم، والتبديل، والاعتداء، والفسق، والتناسي، والاستهانة بالحق، والاستخفاف بنذر العذاب الشديد. وأخيرًا (العُتُو).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح هم القدوة في الدين

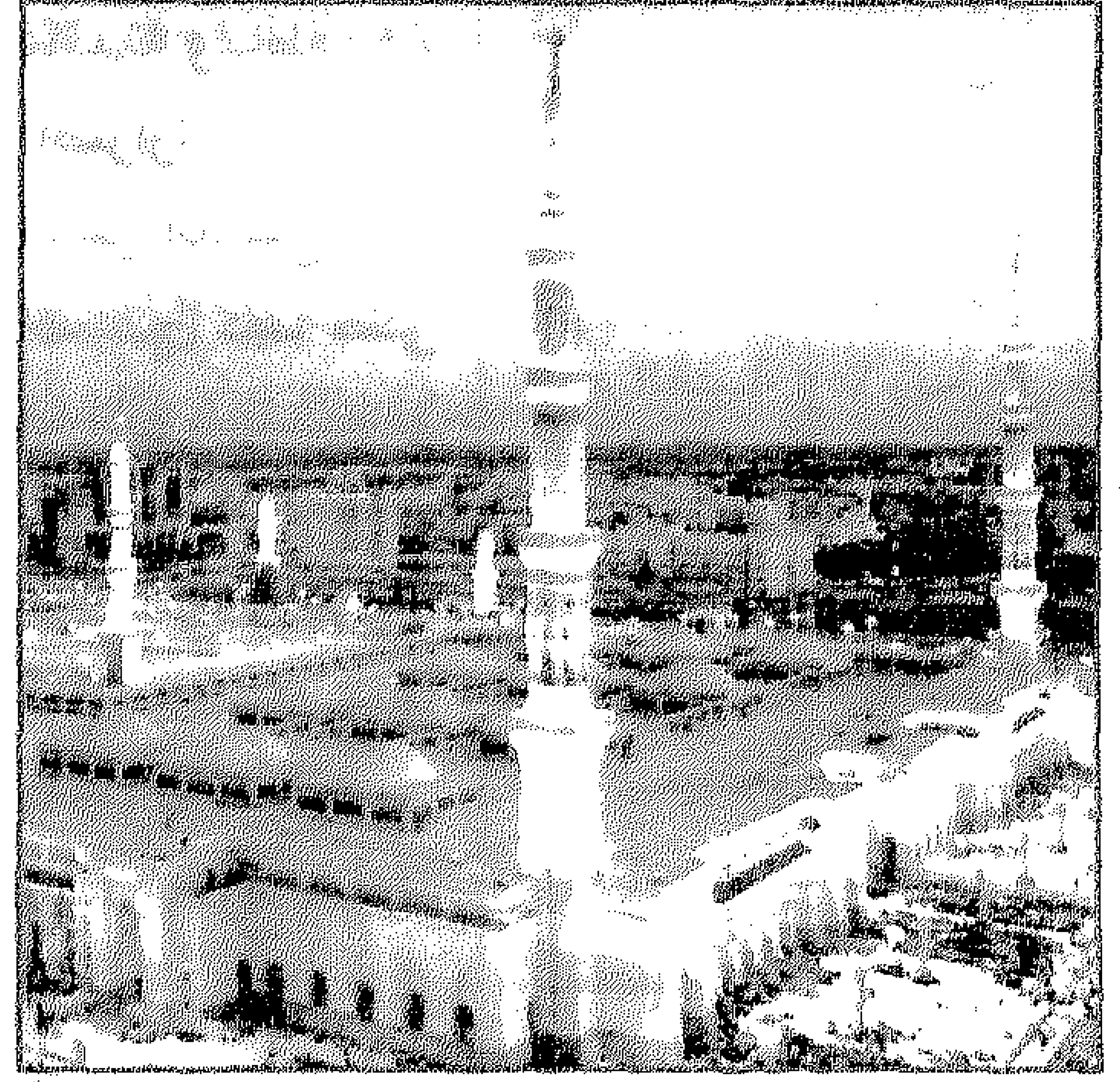
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

الرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - لأن الله تعالى زكاهم؛ ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راضٍ، وهم حملة الدين علمًا وعملاً، فقد نقلوا لنا القرآن وسنة النبي ﷺ وعملوا بمقتضاهما، ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين.

فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجمعوا إلا على حق، بخلاف غيرهم من الطوائف والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق فإنهم قد يجتمعون على الضلالة.

ثم السلف الصالح من: التابعين وتابعيهم، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، هم القدوة بعد الصحابة؛ لأنهم كانوا على منهاج النبوة وسبيل الصحابة لم يغيروا ولم يبدلوا.

وعلى هذا المنهج سار أئمة الدين، وأهل السنة إلى يومنا، وإلى أن تقوم الساعة، ملتزمين بما جاء في الكتاب والسنة، ومقتفين لأثر النبي ﷺ، والسلف الصالح - والحمد لله-، وسبيل هؤلاء (السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين)، هو سبيل المؤمنين الذي توعد الله من يتبع غيره، وجعل اتباع غيره مشاقة للرسول ﷺ ومن موجبات النار، نسأل الله العافية، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].



وبذلك يتقرر أن سبَّ الصحابة والسلف الصالح والطعنَ فيهم، طعنٌ في الدين الذي جاء به النبي ﷺ، كما أنه خيانة للأمة وعامة المسلمين؛ لأنه طعن في خيارها وقدوتها؛ ولذلك عمد أهل الأهواء والبدع والافتراق إلى الطعن في الصحابة والتابعين والسلف الصالح أو بعضهم كما سيأتي بيانه.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي

إعداد

ناصر عبد الكريم العقل

فحسب):

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (هو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

[صحيح الجامع الصغير: ٢٩٣٤]

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئًا زاعمًا أنه من الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [متفق عليه]

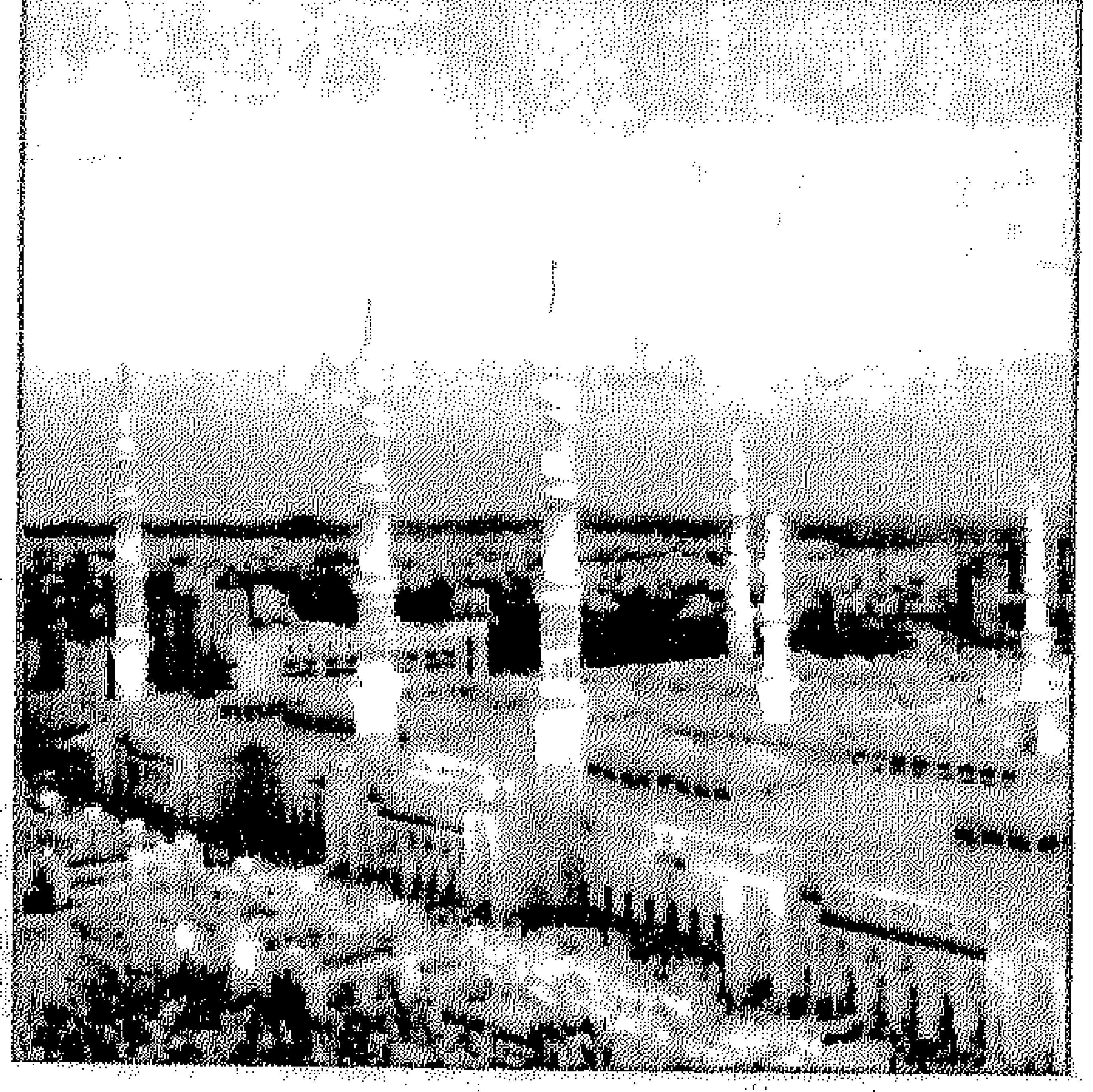
فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع من هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١- إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢- منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم، ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣- العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.



٤- العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥- كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذبًا، وقال على الله بغير علم.

٦- كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: «مِنَ الله - عز وجل - الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم». [البخاري ١٣/٥٠٨]

٧- الصحابة رضي الله عنهم وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلامُ السنة - السلف الصالح - كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: «عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم». [رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٠٧٧، ٢٠٧٨)]

مصادر التلقي عند أهل الأهواء:

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١- العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢- الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣- عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

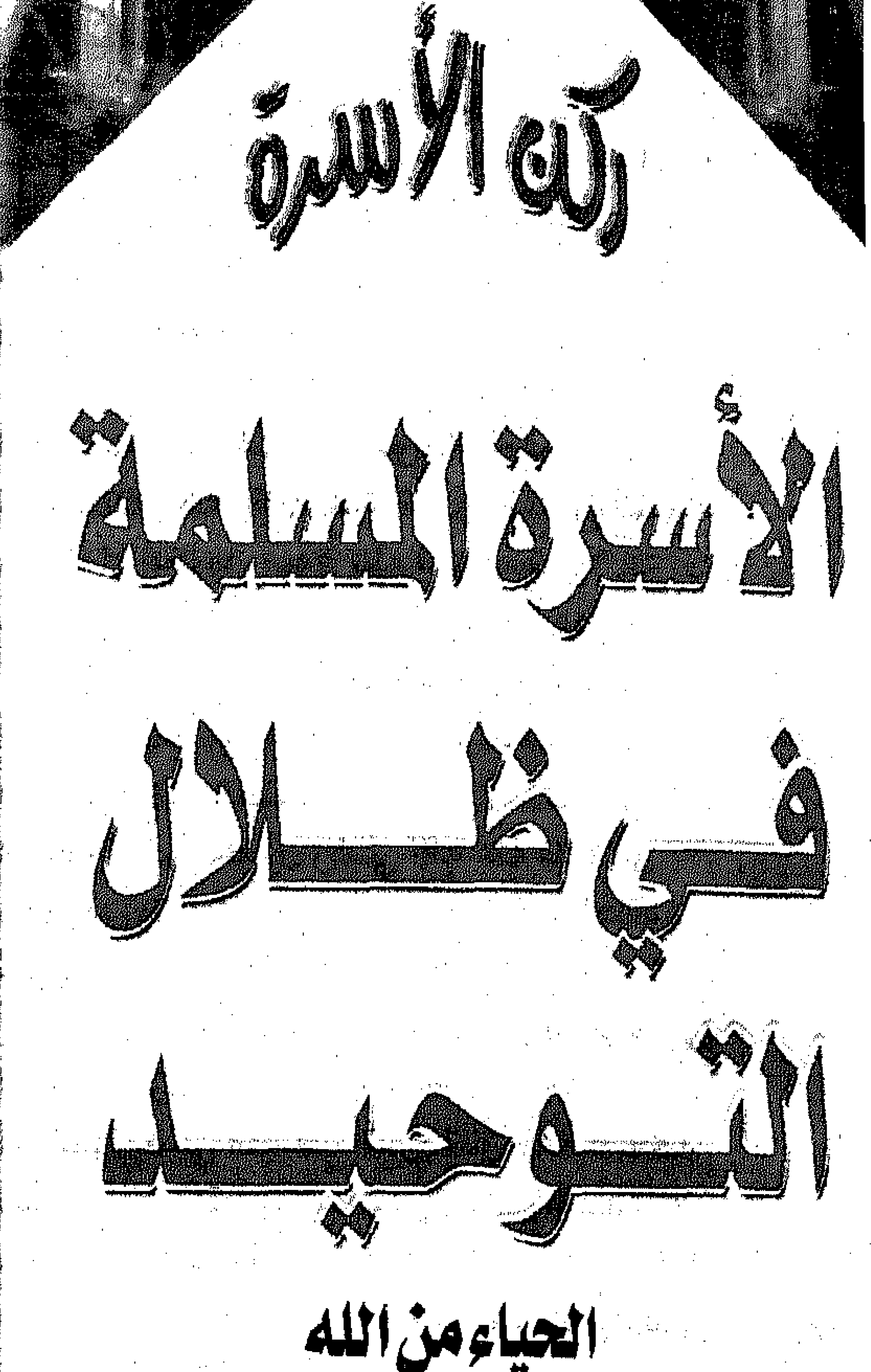
٤- الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥- الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضةُ ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦- المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧- الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

وللحديث بقية إن شاء الله.



الحياء من الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد

فإن الحياء من أعظم الأخلاق التي يتخلق بها المسلم ، بل هو قرين الأعمال جميعًا، ولذلك أكد عليه الإسلام ، ونبه عليه الشرع في مواضع عديدة ، والله تعالى لا يستحيي من الحق ، والرسول ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، والحياء خلقٌ يبعث على فعل الحسن وترك القبيح.

وهو قسمان غريزي ومكتسب وكان رسول الله ﷺ في الغريزي أشد حياءً من العذراء في خدرها، وفي المكتسب في الذروة العليا.



الله جل وعلا حيي ستير

- عن يعلى بن أمية : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ : «إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

[أخرجه أحمد وصححه الألباني برقم : ١٧٥٦ في صحيح الجامع]

وعن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين».

[أخرجه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني برقم : ١٧٥٧ في صحيح الجامع]

كما أن الحياء خلق كل دين : عن أنس وابن عباس مرفوعا إن «لكل دين خلقا» ، وإن خلق الإسلام الحياء. [حسنه الألباني برقم : ٢١٤٩ في صحيح الجامع]

كيف نستحيي من الله؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : «استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبِلَى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

[أخرجه أحمد والترمذي وحسنه الشيخ الألباني برقم : ٩٣٥ في صحيح الجامع]

وقوله ﷺ : «استحيوا من الله حق الحياء» أي حياء ثابتا ولازمًا صادقًا، قاله المناوي، وقيل: أي اتقوا الله حق تقاته «قلنا يا نبي الله إنا لنستحيي» لم يقولوا حق الحياء اعترافًا بالعجز عنه (والحمد لله) أي على توفيقنا به (قال: ليس ذاك) أي ليس حق الحياء ما تحسبونه، بل أن يحفظ جميع جوارحه عما لا يرضي (ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس أي عن استعماله في غير طاعة الله بأن لا تسجد لغيره، ولا تصلي للرياء، ولا تخضع به لغير الله ولا ترفعه تكبرًا. (وما وعى) أي ما جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن كل ذلك يُحفظ عما لا يحل استعماله، (وتحفظ البطن) أي عن أكل الحرام (وما حوى) أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي بل في مرضاة الله تعالى (وتتذكر الموت والبلى) بكسر الباء من بَلِيَ الشيء إذا صار خَلقًا متفتتًا يعني تتذكر صيرورتك في القبر عظامًا بالية (ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا) فإنهما لا

يجتمعان على وجه الكمال حتى للأقوياء قاله القاريء.

وقال المناوي لأنهما ضرتان فمتى أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى (فمن فعل ذلك) أي جميع ما ذكر فقد استحيا من الله حق الحياء.

[تحفة الأحوذي (جزء ٧ - صفحة ١٣١)]

الحياء أحد شعب الإيمان

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

[مسلم عن أبي هريرة]

* لماذا ذكر الحياء من بين الشعب جميعا؟ والجواب لأن جميع الشعب من الحياء والحياء منها فكان الإيمان قرين الحياء يبقى ببقائه ويذهب بذهابه .

- عن ابن عمر مرفوعًا: «إن الحياء و الإيمان قُرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر».

[صححه الشيخ الألباني برقم : ١٦٠٣ في صحيح الجامع]

ولذلك جعل النبي ﷺ فَقْد الحياء مسوغًا لارتكاب أي منكر . روى أبو مسعود البدري مرفوعًا :«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت». [رواه البخاري]

– وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان». [متفق عليه]

الحياء لا يمنع من السؤال في الدين

- وعن عائشة أن أسماء بنت يزيد سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض قال : «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر إلى أن قال: ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها». قالت أسماء : وكيف أتطهر بها؟ قال: سبحان الله تطهري بها. . وسألته عن غسل الجنابة فقال: تأخذين ماءك إلخ فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. [أخرجه مسلم]

– عن عائشة أن أسماء سألت النبي ﷺ بمعناه قال: «فرصة ممسكة» قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «سبحان الله تطهري بها واستتري بثوب» وزاد وسألته عن الغسل من الجنابة فقال : «تأخذين ماءك فتطهرين أحسن الطهور وأبلغه ثم تصبين على رأسك الماء ثم تدلكينه حتى يبلغ شؤون رأسك ثم تفيضين عليك الماء» قال: وقالت عائشة نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين وأن يتفقهن فيه. [قال الشيخ الألباني: (حسن)]

وعن أم سلمة أن امرأة قالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال : «نعم إذا رأت الماء» فضحكت أم سلمة فقالت : أتحتلم المرأة ؟ فقال رسول الله ﷺ: «ففيم يشبهها الولد؟» [متفق عليه]

الحياء ويوم البعث

قالت عائشة قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «حفاة عراة» قلت والنساء قال: والنساء قلت يا رسول الله فما يستحيا؟ قال يا عائشة الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض.

[(صحيح) وأخرجه البخاري ومسلم]

فوائد الحياء

١- الحياء في الجنة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال ﷺ : «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار».

[حديث رقم: ٣١٩٩ في صحيح الجامع للألباني]

٢- الحياء زينة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه».

[حديث رقم : ٥٦٥٥ في صحيح الجامع للألباني]

٣- الحياء خيرٌ كله:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير». [متفق عليه]

٤- الحياء يجلب رضا الله لأن الله يحب الحياء:

عن أشج بني عصر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن فيك لخلتين يحبهما الله عز وجل». قال قلت: وما هما؟ قال: «الحلم والحياء» قال قلت: قديمًا كانتا فيَّ أم حديثًا قال: «قديمًا» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله عز وجل.

[إسناده صحيح على شرط الشيخين إلى أشج بني عصر وهو صحابي نزل البصرة ومات بها، ويقال أشج عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ بن المنذر]

- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قيل: إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها»، قيل: إذا كان أحدنا خاليا؟ قال: الله أحق أن يستحيا منه من الناس». [أخرجه أحمد والحاكم وحسنه الشيخ الألباني برقم : ٢٠٣ في صحيح الجامع]

أمثلة في الحياء (حياء النبي ﷺ)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها.

[صحيح البخاري ومسلم]

(العذراء) البكر سميت بذلك لأن عذرتها وهي جلدة البكارة باقية. (خدرها) سترها وقيل الخدر ستر يجعل للبكر في جانب البيت . والتشبيه بالعذراء لكونها أكثر حياء من غيرها والتقييد بقوله (في خدرها) مبالغة لأن العذراء يشتد حياؤها في الخلوة أكثر من خارجها لأنها مظنة وقوع المعاشرة والفعل بها .

حياء الأبكار

قالت عائشة: يا رسول الله إن البكر تستحي قال: «رضاها صماتها». [متفق عليه]

حياء عثمان رضي الله عنه

٤٣٨٥ – قال رسول الله ﷺ الا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ – يعني عثمان –

[اخرجه مسلم واحمد]

حياء المرأة السوداء

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر، فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. [اخرجه البخاري ومسلم]

(امرأة) قيل اسمها سعيرة الأسدية وقيل شقيرة (أصرع) يصيبني الصرع وهو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجن (أتكشف) أي فأخشى أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر(صبرت) على هذا الابتلاء (ولك الجنة) أي درجة عالية فيها بمقابل صبرك.

وهذه عبرة للنساء، فهي امرأة رغم مرضها وعذرها سعت واجتهدت في ستر نفسها وبدنها، والعجيب أن نساءً يجتهدون في كشف عوراتهن بلا عذر، فأيتهما تستحق الجنة؟

حياء فاطمة بنت عتبة بن ربيعة

عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها ﴿ أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يزنين﴾ الآية قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً فأعجب رسولَ الله ﷺ ما رأى منها فقالت عائشة: أقري أيتها المراة فوالله ما بايعنا الا على هذا قالت: فنعم إذا فبايعها بالآية.

[مسند احمد بن حنبل]

دور المرأة المسلمة في المجتمع

قال النبي ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية». [صحيح البخاري (١٢٧٥/٣)]. وها هي امرأة ممن بايعن رسول الله ﷺ على الإسلام وعلى ألا يعصين في معروف، توضح للمسلمات شيئًا مما أُخذ عليهن من المعروف الذي لا تعصي فيه المرأة فتقول: «ألا نخمش وجهًا (أي عند المصيبة)، ولا ندعو ويلاً (وهي النياحة على الميت)، ولا نشق جيبًا (أي ثوبًا)، وألا ننشر شعرًا». [صحيح ابو داود ح٢٦٨٥] إنها تقول ذلك لأن كثيرًا من النساء إذا أصابتها مصيبة لطمت الخدود وشقّت الجيوب، ودعت بدعوى الجاهلية.

والأمثلة من المسلمات المبلغات عن رسول الله ﷺ أكثر من أن تُحصر، لكن يكفي أن تعلم المبلِّغة أن النبي ﷺ دعا لها بان ينضر الله وجهها يوم تُنضر الوجوه، فقال: «نضّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

[صحيح ابن حبان ج٢، ح٦٨٠، وانظر صحيح الجامع رقم (٥٧٦٥)]

المرأة المسلمة وتجنبها الفتنة، وثباتها عند وقوعها

هذه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - رضي الله عنها - أسلمت بمكة وبايعت ولم يتهيأ لها هجرة إلى سنة سبع وكان خروجها - إلى المدينة - زمن صلح الحديبية، فخرج في إثرها - خلفها - أخواها الوليد وعُمارة، فما زالا حتى قدما المدينة، فقالا: يا محمد «فِ» (أَوْفِ لنا) لنا بشرطنا - وكان من الشروط في صلح الحديبية أن يرد النبي ﷺ من جاءه مسلمًا إلى الكفار - فقالت أم كلثوم: أتردني يا رسول الله إلى الكفار يفتنونني عن ديني ولا صبر لي، وحال النساء في الضعف ما قد علمت؟ فأنزل الله تعالى - الرحيم -: ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ...﴾ [الممتحنة: ١٠]، فكان ﷺ يمتحن النساء، فيقول: «آلله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام؟ ما خرجتن لزوج ولا مال؟» فإذا قلن ذلك لم يرجعهن إلى الكفار. [سير اعلام النبلاء (٢٧٦/٢)]

فأم كلثوم خشيت من الكفار أن يفتنوها في دينها، وأكدت لرسول الله ﷺ خشيتها بضعف النساء المعلوم، فأيد الله تعالى رأيها ورحم حالها وبارك فِعَالها وأنزل الفرج: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

لكن إذا وقعت الفتنة فما على المسلمة إلا الصبر والثبات والاستعانة بالله العظيم.

فها هي سميَّة أم عمار بن ياسر، سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل وطعنها في قُبُلها بحربة، فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام، فكانوا يعذبونها وهي تأبى غير الإسلام، حتى قتلوها، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وأمّه وأبيه ياسر وهم يُعذبون بالأبطح - مكان في أعلى مكة - في رمضاء مكة - حرها الشديد - فيقول: «صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة». [الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٣٦)]

سميةُ لا تبالي حين تلقى
عذاب النُّكر يومًا أو تلبينا
وتأبى أن تردِّدَ ما أرادوا
وكانت في عِداد الصابرينا

صبياننا الصغار

العلم خادم للدعوة إلى الله

ومن أهداف أبناء السلف النبيلة في طلب العلم خدمة الدعوة الإسلامية:

فلما كان طلبهم العلم من أجل الله وإعزاز دينه، وإعلاء كلماته وخدمة الدعوة الإسلامية؛ جعل الله تعالى البركة في علمهم وعملهم، فأنجزوا في الأوقات اليسيرة المهام الشاقة العسيرة.

فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود، قال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم.

[الترمذي (٢٧١٥/٥)]

ومما لا يخفى أن هذا الصحابي زيد بن ثابت الضحاك الأنصاري الخزرجي النجاري المقرئ الفرضي كاتب وحي النبي ﷺ، قُتِل أبوه يوم بعاث - حرب كانت بين الأوس والخزرج - قبل الهجرة، فقدم النبي ﷺ وزيد صبي ذكي نجيب وعمره إحدى عشرة سنة، فأسلم وأمره النبي ﷺ أن يتعلم خط اليهود، فجود الكتابة، وكتب الوحي، وحفظ القرآن، وشهد الخندق وما بعدها، استدعاه الصديق لجمع القرآن فتتبعه؛ ثم عيَّنه عثمان لكتابة المصحف، وثوقًا بحفظه ودينه وأمانته وحسن كتابته، قرأ عليه القرآن جماعة؛ منهم ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي. [تذكرة الحفاظ (١ / ٣٠)]

فلينظر الآباء كيف يعمل الصبي لخدمة دينه إذا وُجه توجيهًا صحيحًا، وتمت الاستفادة من طاقته منذ الصغر.

فاللهم ارحمهم رحمة واسعة، واجعل لأبنائنا في الأسوة بهم أوفر الحظ.

وهذا الصابوني الإمام العلامة القدوة المفسر المحدث شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن... النيسابوري الصابوني، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وأول مجلس عقده للوعظ إثر قتل أبيه في سنة ثنتين وثمانين وهو ابن تسع سنين.

قال أبو بكر البيهقي: حدثنا إمام المسلمين حقًا وشيخ الإسلام صدقًا أبو عثمان الصابوني، ثم ذكر حكاية.

وقال عبد الله المالكي: أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير.

وقال عبد الغافر في السياق: الأستاذ أبو عثمان إسماعيل الصابوني، شيخ الإسلام المفسر المحدث الواعظ، أوحد وقته في طريقه، وعظ المسلمين سبعين سنة، وخطب وصلى في الجامع نحوًا من عشرين سنة، وكان حافظًا كثير السماع والتصانيف، حريصًا على العلم، سمع بنيسابور وهراة وسرخس والحجاز والشام والجبال، وحدث بخراسان والهند وجرجان والشام والثغور والحجاز والقدس، ورُزق العز والجاه في الدين والدنيا، وكان جمالاً للبلد، مقبولاً عند الموافق والمخالف، مُجْمَعًا على أنه عديم النظير، وسيف السنة ودامغ البدعة، وكان أبوه الإمام أبو نصر من كبار الواعظين بنيسابور، فَفُتك به لأجل المذهب وقتل، فأقعد ابنه هذا ابن تسع سنين بمجلس الوعظ وحضره أئمة الوقت.

[سير أعلام النبلاء (١٨ / ٤٠)]

يُرى مما سبق أن علم هذا الإمام ومنزلته كان نتيجة جهد ورعاية منذ الصغر.

فلينظر طلبة العلم إلى رحلة هذا الشاب الإمام في طلب العلم وتحصيله، ثم في تحديثه وتدريسه، وكم طاف هذا الفتى العالِم بالبلدان العديدة يطلب العلم، ثم بعد ذلك طاف أيضًا بالأقطار الكثيرة محدثًا وداعية وواعظًا، وحدَّث الأئمة في عصره ووعظهم وله من العمر تسع سنين.

فلا إله إلا الله! ما هذه الهمة العالية والانقطاع للعلم من أجل خدمة الدعوة الإسلامية.

ولقد أعزه الله تعالى ورفع ذكره، فكان له العز والجاه في الدنيا والدين، وأتته الدنيا وهي راغمة. قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

والحمد لله رب العالمين.

موقف الأمة من مدعي النبوة

إعداد
أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله تعالى ختم النبوة بالنبي محمد ﷺ وتلك إحدى العقائد الأساسية في الإسلام التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، إلا أن هذه العقيدة تعرضت في القديم والحديث لكيد ماكر من أعداء الأمة الإسلامية بشتى أساليب المكر والخداع، وصدق النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُبْعَثَ دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله». رواه البخاري ومسلم، وفي رواية للترمذي وابن ماجه: «إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي».

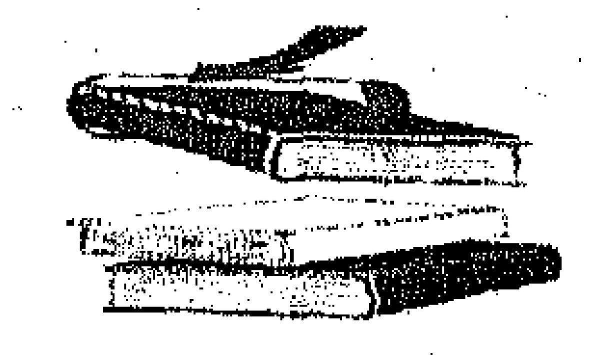
وقد باءت محاولات مدعي النبوة بالفشل في القديم وأغلق الباب في وجوههم، وأصبحت قصصهم وأخبارهم تنقل في كتب النوادر- وأخبار الحمقى والمغفلين، بيد أنه في العصر الحاضر وجد ادِّعاءُ النبوةِ قبولاً عند بعض المسلمين لجهلهم وبعدهم عن شرع ربهم، ونجح الاستعمار وأعداء الدين في استدارج بعض أصحاب الدعوات الباطلة والفرق المنحرفة الكافرة، ومن هذه الفرق الضالة القاديانية والبابية والبهائية وبعض غلاة الصوفية، ومن ثم جاء هذا البحث يبين:

١- أدلة عقيدة ختم النبوة من القرآن والسنة.
٢- أقوال سلف الأمة في عقيدة ختم النبوة.
٣- موقف الأمة من مدعي النبوة.
٤- شبهات ترد على بعض العقول.
٥- البهائية الضالة وختم النبوة.

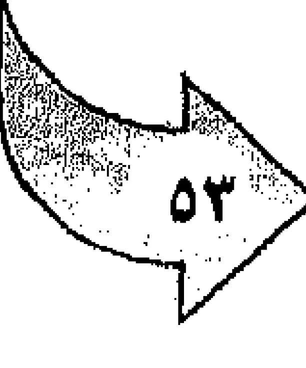
أولا: أدلة عقيدة ختم النبوة من القرآن والسنة

١ ـ قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، يقول شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: «ما كان محمد أيها الناس أبًا لزيد بن حارثة، ولا لأحد من رجالكم، وإنه كان رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا









تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة...». ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «من قرأ خاتِم بكسر التاء فمعناه: وخَتَمَ النبيين، ومن فتحها فالمعنى: آخر النبيين، وهذا فهم كل المفسرين من سلف الأمة من صدر الإسلام إلى اليوم».

٢- قوله جل شانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فعموم رسالته ﷺ من خصائصه ﷺ التي فضل بها على غيره من الأنبياء والرسل، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل للناس جميعًا الأحمر منهم والأسود والعربي والعجمي: إني رسول الله إليكم جميعًا، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة». أهـ. ويفهم من عموم رسالته ﷺ أنها خاتمة الرسالات وآخرها، فلا تحتاج البشرية بعده إلى دين جديد.

٣- قوله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وهذا من أكبر نعم الله على عباده، حيث أكمل لهم سبحانه الدين فليسوا بحاجة إلى دين جديد، ولا إلى نبي بعد نبيهم ﷺ، ومن ثم جعله سبحانه خاتم النبيين وبعثه إلى الثقلين الإنس والجن.

٤- قوله ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». [رواه البخاري]

وفي رواية مسلم وأحمد: «وختم به النبيون»، وهذا الحديث قال عنه الإمام السيوطي إنه بلغ حد التواتر، وهو يؤكد عقيدة ختم النبوة ويقررها في نفس المؤمن.

٥- قوله ﷺ : «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات». رواه أحمد وابن ماجه، في روايات أخرى قيل: يا رسول الله، وما المبشرات، قال: «الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له».

٦- قوله ﷺ : «أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب».
[رواه البخاري ومسلم]

والعاقب الذي لا نبي بعده.

ثانيا: أقوال السلف في عقيدة ختم النبوة

١- قال عمر رضي الله عنه: «إن ناسًا كانوا يؤاخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم». [البخاري]

٢- قول أنس رضي الله عنه: «كان إبراهيم ابن النبي ﷺ قد ملأ الأرض ولو بقي لكان نبيًا، ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء». [رواه احمد في مسنده]

٣- زعم مسيلمة الكذاب الشركة في النبوة مع رسول الله ﷺ ، فتوجهت إليه سيوف الصحابة رضي الله عنهم: «قتلوا عشرة آلاف من أتباعه واستباحوا دماءهم وأموالهم، وقد جاء في كتابه الذي بعثه إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك فإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ولكنْ قريشٌ قوم لا يعدلون».
[البداية والنهاية لابن كثير ٥١/٥]

٤- إجماع الصحابة على أن الوحي قد انقطع بموت النبي ﷺ :

٥- تهكم الصحابة رضي الله عنهم بالمتنبئين والدجالين الكذابين؛ فعندما طلب خالد بن الوليد رضي الله عنه من أصحاب طليحة الذين أسلموا وحسن إسلامهم أن يُسمعوه مما قال شيئًا قالوا: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصرد الصوام قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام».
[البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ ص٣١٨]

ثالثا: موقف الأمة من مدعي النبوة

بعد أن عرضنا لبعض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لعقيدة ختم النبوة، وذكرنا بعض أقوال سلف الأمة حول تلك العقيدة، نعرض لأقوال بعض علماء الأمة لبيان مدى رسوخ تلك العقيدة عند المسلمين عبر العصور إلى اليوم.

١- قال البغدادي رحمه الله: «كل من أقر بنبوة محمد أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأييد شريعته وامتناع نسخها». [أصول الدين ص١٦٢]

٢- قال القاضي عياض رحمه الله: «أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل للناس كافة وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص» [الشفا ٢٧١/٢]

٣- قال أبو يوسف - يعقوب بن إبراهيم -: «إذا خرج متنبئ وادعى النبوة فمن طلب منه الحجة يكفر لأنه أنكر النصوص وكذلك لو شك فيه».

٤- قال الباقلاني رحمه الله: «ويجب أن يعلم أن

نبينا محمدًا ﷺ مبعوث إلى كافة الخلق وأن شرعه لا يُنْسَخُ بل هو ناسخ لجميع من خالفه».

رابعا: شبهات ترد على بعض العقول

ولسائل أن يسأل هل هناك فرق بين النبي والمحدَّث ؟ حيث إن بعض الأحاديث أخبرت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان محدَّثًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون فإن يك في أمتي منهم أحد فإنه عمر»، رضي الله عنه. [رواه البخاري]

والمُحَدَّثُ هو الرجل الصادق الظن الذي يلقى في روعه الشيء فيجري الصواب على لسانه، بيد أن هناك فروقًا بين المحدَّث والنبي، منها:

أن النبي يوحى إليه بوحي يعلم أنه وحي من الله عز وجل، ولا يحتاج للتأكد من صحة ما أوحي إليه بعرضه على وحي سابق، وكذلك النبي معصوم فيما يخبر به عن الله عز وجل.

أما المحدث فرأيه يكون ظنًا لا علمًا، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول: «لا يقولن أحد قضيت بما أراني الله، فإن الله عز وجل لم يجعل ذلك إلا لنبيه ﷺ، وأما الواحد منا فرأيه يكون ظنًا ولا يكون علمًا».

فالمحدث يعرض كلامه على الكتاب والسنة فهما الميزان لصحة ما قال، لذا فإن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ لما مات أنكر موته، فلما سمع الصديق رضي الله عنه يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، عاد إلى صوابه ورجع عن قوله إلى ما سمع من كتاب الله.

وفي صلح الحديبية قال رضي الله عنه: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به.

وقد يرد على البعض شبهة نزول عيسى عليه السلام وهو نبي، فما معنى قوله ﷺ: «لا نبي بعدي». والجواب: أن عيسى عليه السلام عند نزوله إنما ينزل متبعًا لشريعة النبي محمد ﷺ ويصلي صلاة المسلمين مأمومًا خلف إمامهم ليبين ذلك المعنى من أول وهلة.

خامسا: البهائية الضالة وعقيدة ختم النبوة

ومن الفرق الضالة التي شذت عن الصراط المستقيم وتخبطت في ظلمات الجهل والكفر، البهائية حيث ذهب مؤسسها إلى أنه نبي يوحى إليه بعد رسول الله ﷺ مستندًا إلى تفسير للقرآن تفسيرًا باطنًا، وزعم أيضًا أن الله أوحى إليه كتاب الأقدس، وهو عبارة عن أفكار صوفية يهيم بها صاحبها في أودية الخيال، فمن خرافاته في أول الاقدس: «قد ماجت بحور الحكمة والبيان بما هاجت نسمة الرحمن اغتنموا يا أولي الألباب». [الاقدس ص١٦٩]

ومن ذلك الهراء قوله: «وقد أخذهم سكر الهوى على شأن لا يرون مولى الورى». [الاقدس ص١٥٣]

هذه بعض نصوص الأقدس الذي يزعم صاحبه أنه وحي السماء، ومع وضوح جنونه وشذوذه إلا أنه له أتباعًا يصل عددهم في العالم إلى ستة ملايين، أليس ذلك دليلا على أن الشيطان يعمل في حزبه كيفما شاء وحسبما أراد: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل

منهج السلف في تفويض الصفات

إعداد د. محمد عبد العليم

الحلقة العاشرة

الأسباب المفضية لدى أهل العلم إلى عدم فهم كلام السلف على حقيقته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، ففي هذه الحلقة نواصل ما بدأناه في المقالات السابقة فنقول مستعينين بالله:

الظاهر أن الذي حمل من يجهلون طريقة السلف ويغيب عنهم مذهبهم في الصفات[1]، على القول بالتفويض والادعاء بأنه مذهب أهل السنة والجماعة، مرجعه إلى أمرين:

الأمر الأول: ما ورد من نهي السلف عن تفسير الصفات والخوض في معانيها والزعم من ثَمّ أنها من المتشابه:

فقد وردت في أقوال السلف عبارات لم يدرك جل الأئمة الذين ينسبون إلى السلف معتقد التفويض حقيقتها ولا المراد منها، كإمرار التابعين وتابعيهم بإحسان رحمة الله عليهم لمعاني الصفات وكامتناعهم ونهيهم عن تفسيرها، في نحو ما أوردناه من قول الوليد بن مسلم: "سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات؟ فكلهم قالوا لي: أمروها كما جاءت بلا تفسير"[2].. وما أوردناه عن محمد بن الحسن من قوله: "اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه وصفه بصفة لا شيء".. وما جاء في قوله في أحاديث (إن الله يهبط إلى السماء الدنيا)، ونحو هذا من الأحاديث هي: "أحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها"[3].

وكذا ما جاء عن شيخ المحدثين يحيى بن معين قال: "شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث مثل حديث (الكرسي موضع القدمين) ونحو ذلك..؟، فقال: "كان إسماعيل بن أبي خالد والثوري ومِسعَر بن كدام- يروون هذه الأحاديث، لا يفسرون منها شيئاً"[4].. وما جاء عن سفيان بن عيينة- فيما نقله عنه الإمام أحمد- قال: "كل وصف وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته لا تفسير له غيرها، ولا نتكلف غير ذلك فإنه غيب لا مجال للعقل في إدراكه"[5].. وما جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام - فيما رواه عنه البيهقي وغيره بإسناد صحيح- في أحاديث الرؤية والكرسي وموضع القدمين وضحك ربنا وحديث (أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء) و(أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك عز وجل قدمه فيها فتقول قط قط) وأشباه هذه الأحاديث، فقال: "هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيه، ولكن إذا قيل لنا كيف وضع قدمه فيها وكيف يضحك، قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسره"[6]، إلى غير ذلك من نصوص فَهِمَ متأخرو الأشاعرة من مؤداها إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

وقد أتى السيوطي وهو يحتج ببعض هذه الأقوال بما يفيد أن السلف كانوا يقولون بتفويض الصفات[7]، وهذا توهم منه لا يبعد أن يكون قد تأثر فيه بما تراجع متأخرو الأشاعرة عنه ولم

يبلغه ذلك، كما لا يبعد أن يكون غيره كذلك قد تأثر به فيه.. والجواب عن هذا أن المعنى الذي نفوه، وأبوا حمل التفسير عليه، هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم ممن ابتدعوا تفسيرات للصفات على خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات[8].. أو أن يكون المراد من ذلك ترك التفسير الذي يخرج عن ظاهر اللفظ أو الذي يؤدي إلى معرفة الكيفية أو الكنه، ذلك - وببساطة شديدة - أن التفسير إنما يكون لما انبهم من الكلام، وصفاته تعالى ليست مبهمة وإنما هي ظاهرة معلومة المعنى، والمجهول هو الكيف ومن ثم كان هو الذي يحتاج إلى تفسير، ولما كان هذا الكيف مجهولاً للخلق ولا مطمع في إدراكه قال السلف: أمروها بلا كيف.

وليس أدل على صحة ذلك الجواب، من أن السلف مع نفيهم الكيفية، أنكروا على المعطلة نهجهم الذي يقضي بنفي الصفات وعدم إثباتها، ومن أقوال أئمة السلف في ذلك ما نقل عن الإمام أحمد من قوله: "ليس كمثله شيء في ذاته.. وصفاته غير محدودة، ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه، قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث بل نقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه.. نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت.. سميع بصير لم يزل متكلماً عالماً غفوراً.. فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى: (ثم استوى على العرش.. الأعراف/ ٥٤ يونس/ ٣الرعد/ ٢ الفرقان/ ٥٩ السجدة/ ٤ الحديد/ ٤) كيف شاء، المشيئة إليه والاستطاعة إليه، ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة"[9].

ومن أدلته كذلك أن السلف أنكروا تفسير أولئك المعطلة وأثبتوا مع إنكارهم لتفسيراتهم تلك، تفسيرات أخرى هي الموافقة لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ليتضمن كلامهم الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين طائفة المعطلة وطائفة المشبهة، يقول حنبل بن إسحاق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا) فقال لي: "اسكت عن هذا، مالك ولهذا! أمض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد كما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب، قال الله عز وجل: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ.. النحل/ ٧٤)، ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شيء علماً، لا يبلغ قدره وصف واصف، ولا ينأى عنه هرب هارب"[10].. ويقول محدث الكوفة في وقته الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد ابن أبي شيبة العبسي ت٢٩٧ في كتابه عن العرش وذلك فيما نقله عنه الحافظ الذهبي: "ذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوق، وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماء (وَهُوَ مَعَكُمْ.. الحديد/ ٤) يعني علمه، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه، فهو فوق العرش متخلصاً من خلقه بائناً منهم"[11].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) احترامنا الشديد لهم واعترافنا بفضلهم وإقرارنا بموالاتهم وبأنهم أرادوا الحق فأخطأوه، وما قصدوا مخالفته ولا تعمدوا الخروج فيه على إجماع المسلمين ولا سلف الأمة، ومن ثم فلا عذر لمقلديهم ولا للاحتجاج - فيما خالفوا فيه السلف - بأقوالهم كما يفعل البعض، لاسيما وأنهم ما دعوا الناس إليه ولا جعلوه مذهباً يضاهئون به قول أهل الحق أو يحرضون الدهماء على الانتصار له أو يدعون من خلاله إلى خرم ما اتفق أهل السنة عليه، وما عمدنا إلى إظهار ما كتبوه إلا لبيان الحق ومعرفة وجه الصواب فيه والتحذير مما وقعوا فيه بعد إقامة الحجة وتسجيل تراجع جلهم إلى الحق، وحاشانا أن يكون المآرب من وراء ذلك القدح في معتقداهم ولا التشهير بهم ولا اتهامهم في دينهم أيضاً كما يفعل البعض، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(٢) العلو ص ١٠٤ومختصره ص١٤٢ .

(٣) ينظر اللالكائي ٣/ ٤٣٣وذم التأويل ص٦والعلو ص١١٣ واجتماع الجيوش ص٨٧ .

(٤) الصفات للدارقطني ص٦٩وذم التأويل ص٩والعلو ص ١٠٩والتوحيد لابن مندة٣/ ١١٦ .

(٥) عقائد السلف ص٥٧١ وينظر العلو ص ١٨٣، ١٩٢والصفات للدارقطني ص٧٠ والتوحيد لابن مندة ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨ .

(٦) العلو ص ١٢٧ومختصره ص١٨٦ والصفات للدارقطني ص٦٨، ٦٩والتوحيد لابن مندة٣/ ١١٦والأسماء للبيهقي ص٤٩١والحموية ص٣٠ والمعارج١/ ١٤، ٢٧٣والحجة١/ ٤٣٩ .

(٧) ينظر الإتقان ص٣٠٥ .

(٨) الحموية ص١١٥ .

(٩) ينظر اجتماع الجيوش ص٨٣ والمعارج١/ ٢٩٧ .

(١٠) اللالكائي٣/ ٤٥٣ مجلد٢ وينظر علاقة الإثبات ص٧٢ والصواعق ٢/ ٢٥٢ .

(١١) العلو ص ١٤٨ومختصره ص٢٢٠ .

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة خلق النخلة ونسبها لآدم عليه السلام

•• الحلقة الحادية والسبعون ••

إعداد

الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة والتي حاول أحد الدعاة أن يجعل من هذه القصة بين النخلة وبين آدم نسبًا، وهذه القصة بنيت عليها الندوة التي عقدت في أحد المساجد المشهورة ونشرتها جريدة المساء في عددها (١٤٠٨٠) في الصفحة السادسة، وإلى القارئ الكريم نص ما نشر عن القصة:

«كشفت ندوة دينية عن أسرار جديدة في عالم النخل، تبين أن النخلة خلقها الله عز وجل من بقية طينة آدم عليه السلام، وقال عنها رسول الله ﷺ: أكرموا عماتكم النخل، وإنما سماها عماتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم». ثم أوضح الداعية أن النخلة هي «الإنسان» لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام أو أنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها، وطولها، وامتياز ذكرها عن أنثاها، واختصاصها باللقاح وكذلك لو قطع رأسها لهلكت، ولطلعها رائحة الحيوان المنوي، ولها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها، والجمار الذي على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخل مثل مخ الإنسان تمامًا، ولو قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان تمامًا...». اهـ.

قلت: ولقد استمرت الجريدة في نقل كلام الشيخ في الندوة الدينية والتي اعتبرته كشفًا علميًا من أسرار جديدة في عالم النخل بناءً على قصة نسب النخلة لآدم عليه السلام.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق قصة خلق النخلة ونسبها لآدم عليه السلام:

أولاً: القصة

من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١- رُوي عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خُلقت من فضلة طينة أبيكم آدم، وليس من الشجر شجرة تلقح غيرها، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فاطعموا نساءكم الوُلَّد الرُّطب، فإن لم يكن الرطب فالتمر».

٢- التخريج:

أخرج حديث قصة خلق النخلة أبو يعلى في «مسنده»

(٣٥٣/١) (ح٤٥٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٥٦/٤- ت١٨٥٣)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤٣١/٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٤/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٣/٦) كلهم من طريق مسرور بن سعيد التميمي عن الأوزاعي، عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب مرفوعًا.

٣- التحقيق:

أ- هذا الطريق الذي جاءت به قصة خلق النخلة طريق غريب حيث قال أبو نعيم في «الحلية» (٢٣/٦): «غريب من حديث الأوزاعي عن عروة تفرد به مسرور بن سعيد».

ب- وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٨٥٣/٢٥٦/٤): «مسرور بن سعيد عن الأوزاعي، حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به».

جـ- قال ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤٣١/٦): «مسرور بن سعيد التميمي منكر الحديث». اهـ.

ثم أخرج حديث القصة ثم قال معقبًا: «وهذا حديث عن الأوزاعي منكر، وعروة بن رويم عن علي ليس بالمتصل ومسرور بن سعيد غير معروف لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث». اهـ.

قلت: هكذا بين الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي علل الحديث من النكارة والانقطاع والجهالة والتي بها تصبح قصة خلق النخلة ونسبها واهية.

د- قال الإمام الحافظ ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٤٤/٣): «مسرور بن سعيد التميمي: يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها». اهـ.

هـ- قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٤/١): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، فحديث علي تفرد به مسرور، قال ابن عدي غير معروف وهو منكر الحديث»، ثم نقل قول ابن حبان وأقره.

وإلى القارئ الكريم الطريق الثاني للقصة:

ثانيا: قصة خلق النخلة من حديث ابن عمر:

١- رُوِيَ عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا إلى عمتكم النخلة فإن الله خلق آدم ففضل من طينته فخلق منها النخلة».

٢- التخريج:

قال ابن عدي في «الكامل» (١٥٦/٢) (٣٤٨/٢٣): حدثنا جعفر بن أحمد بن علي بن بيان، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٤/١) من طريق ابن عدي.

٣- التحقيق:

علة حديث ابن عمر في خلق النخلة جعفر بن أحمد بن علي بن بيان بن زيد بن سيابة قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (١٥٦/٢): «حدثنا جعفر بن أحمد أبو الفضل الغافقي مصري يعرف بابن أبي العلاء عن أبي صالح كاتب الليث وغيره بأحاديث موضوعة، وكنا نتهمه بوضعها بل نتيقن في ذلك». اهـ.

قلت: ثم أخرج له حديثين أحدهما حديث قصة خلق النخلة ونسبها.

ثم قال: «هذان الحديثان بإسناديهما موضوعان ولا شك أن جعفرًا وضعهما». اهـ.

ثم ختم ترجمته بقوله: «وعامة أحاديثه موضوعة وكان قليل الحياء في دعاويه على قوم لعله لم يلحقهم ووضع مثل هذه الأحاديث». اهـ.

وأقر هذا الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٧/٢) (١٩٦٣/٩٦)، ونقل عن أبي سعيد النقاش أن جعفرًا هذا: «حدث بموضوعات».

وقال الدارقطني: «جعفر لا يساوي شيئًا». اهـ.

وبهذا التحقيق لقصة خلق النخلة من حديث ابن عمر تبين أن الحديث موضوع وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي ﷺ.

فهذا الطريق لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد القصة وهنًا على وهن كما هو مقرر عند أهل الفن.

وإلى القارئ الكريم الطريق الثالث للقصة:

ثالثًا: قصة خلق النخلة من حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» كما في «اللآلئ» (١/١٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري قال: سألنا رسول الله ﷺ مِمَّ خلقت النخلة ؟ قال: «خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام». ولم يذكر السيوطي سنده.

فقال المعلمي اليماني في تحقيقه لكتاب «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٤٩٠): «لم يسق في «اللآلئ» سنده ولن يكون إلا ساقطًا».

قلت: «وما قاله المعلمي اليماني هو الحق، حيث أكده الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٨٢/١) (ح٢٦٢) فساق سنده عن ابن عساكر في «تاريخه» (٢/٣٠٩/٢) عن الحاكم بن عبد الله الكلبي أبي سالم من أهل قزوين، عن يحيى بن سعيد البحراني من أهل غطيف، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري سألنا رسول الله ﷺ مم خلقت النخلة ؟ فذكره، ثم قال: وهذا إسناد ضعيف جدًا وأبو هارون العبدي اسمه عمارة بن جوين وهو متروك ومنهم من كذبه كما في «التقريب». اهـ.

أ- قلت: وفي «الميزان» (٦٠١٨/١٧٣/٣) عمارة بن جوين كذبه حماد بن زيد وقال شعبة: «لأن أقدَّم فتضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أحدث عن أبي هارون».

ب- وقال الجوزجاني: أبو هارون كذاب مفتر.

جـ- قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (ت/٤٧٦): «عمارة بن جوين أبو هارون العبدي متروك الحديث بصري».

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له مدلوله حيث قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٦٩): «ولهذا كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

د- قال ابن حبان في «المجروحين» (١٧٧/٢): «عمارة بن جوين أبو هارون العبدي كان رافضيًا يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».

قلت: وحاولت أن أذكر طرق الحديث مبينًا درجة ضعفها حتى لا يُقال: إن الحديث الضعيف إذا جاء من عدة طرق قوى بعضها بعضًا، ولا يدرى أن هذا ليس على إطلاقه كما هو مبين من قول الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص١٦).

قال الشيخ أبو عمرو: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا لأن الضعيف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين».

قلت: وهذه القاعدة الحديثية تنطبق على حديث قصة خلق النخلة ونسبها لآدم فطرقها كما بينا آنفًا لا تخلو من وضاع أو متروك أو كذاب.

وكم لهذه الأحاديث الموضوعة والقصص الواهية من الأثر السيئ حتى اعتبرتها الصحف أنها كشف جديد في عالم النخل لثقتهم بالشيخ ومكانته الإدارية، حيث أخذ الشيخ يربط بين النخلة والإنسان من النواحي الخلقية والشكلية.

ومثل هذه الأحاديث المكذوبة والتي بها قصص الخلق ولا يعرف الكثير درجتها ويروجونها في الندوات وتنشرها الصحف تفتح بابًا للطعن في الإسلام، حيث أثبتت البحوث العلمية الحديثة بحقائق علمية ترى رأي العين أن الله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

فكل خلية تحت المجاهر المكبرة تشهد بأن لكل مخلوق خلقه من كروموسومات (الأمشاج) وعليها جينات، ولا يشاركها فيها كائن آخر، فلكل كائن جيناته التي أعطاها الله سبحانه: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦]، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فعلوم الكشف عن سنن الله الكونية تشهد

بحقائقها العلمية لهذه الآيات القرآنية ولا يمكن لحقيقة علمية من سنن الله الكونية في آياته في الآفاق أن تصطدم بآية قرآنية لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فالخلق خلقه والأمر أمره، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

منشأ التعارض وأثره السيئ

ينشأ المتعارض من أمرين:

الأول: ينشأ التعارض من أن يعتقد الإنسان أن الأمر حقيقة دينية، وهو ليس بحقيقة دينية فيصطدم مع الحقائق العلمية الكونية من سنن الله الكونية والتي يراها الإنسان في الآفاق شاهدة الشمس في ضحاها كالاعتقاد بأن النخلة عمة الإنسان لأنها خلقت عن بقية طينة آدم وأثبتنا آنفًا أنها قصة مكذوبة منسوبة إلى النبي ﷺ.

فتصطدم مع الحقيقة العلمية في سنن الله الكونية في خلقه والتي أعطى الله فيها خلايا النخل خلقها، وأعطى سبحانه خلايا الإنسان خلقها من كروموسومات (الأمشاج) وما عليها من جينات، كما هو مقرر عند علماء الخلية وما بها من آيات تشهد بتوحيد الربوبية ولازمها توحيد الألوهية.

الثاني: ينشأ التعارض من أن يعتقد الإنسان أن الأمر حقيقة علمية فيجزم بنسبة غير واقعة كتعلق داروين بالمظاهر الخارجية للقرد وربط بين هذه المظاهر وبنى بهواه نظريته الخاطئة في التطور لأن الله لم يشأ يومها أن توجد المجاهر وعلم الخلية التي يرى آيات الله في خلايا الكائنات فبنى نظريته على جهل فعارض خلق الله لآدم عليه السلام في الآيات القرآنية.

الأثر السيئ:

اعتقد الشيخ محمد عبده عفا الله عنا وعنه في العلاقة والتطورية بين القرد والإنسان وتوهم أن نظرية دروان في التطور حقيقة علمية فقال: «إن قصة آدم في القرآن تمثيل».

ولقد وقف شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله في قاعة الإمام محمد عبده في المحاضرة التي ألقاها في ٢٧ مارس ١٩٦٢ وحضرها عمداء الكليات بمصر وغيرها وعميد كلية الزيتونة وكان مما قاله في هذه المحاضرة: «إننا جميعًا نُجلُّ الشيخ محمد عبده ونحترمه وندين له بكثير من تخليص الدين من الخرافات والأساطير ولكن حين نقرأ له تفسير قصة آدم فنجده يقول: بأنها تمثيل. نتساءل: لماذا اتجه الشيخ محمد عبده هذا الاتجاه ؟ لماذا اتجه في قصة آدم إلى أنها تمثيل ؟ حينما نتساءل حقيقة عن السر العميق - في الشعور أو اللاشعور- نجد أن الشيخ محمد عبده رأى أن فكرة التطور منتشرة في جميع أوربا، بل والعالم وهي - فيما يرى - تتعارض مع التعاليم التي تنبئ أن آدم هو أول البشر، وهو الذي خلقه الله وسواه وخاطب الملائكة في شأنه وأمرهم أن يسجدوا له رأى الشيخ محمد عبده أن كل ذلك لا يتلاءم كثيرًا مع فكرة التطور المزعومة فماذا صنع ؟

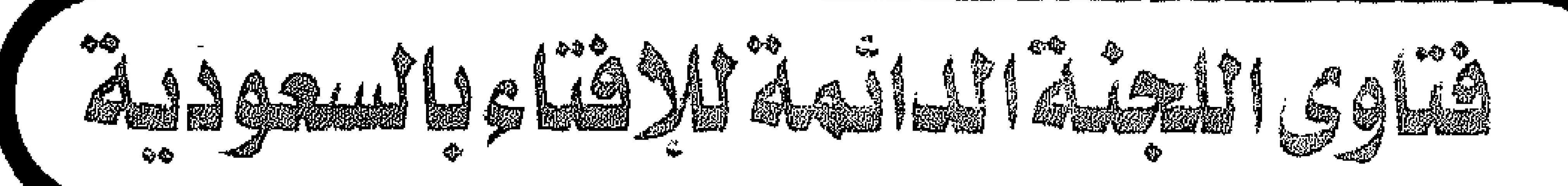
فقرر بأنها قصة، وأنها تمثيل... وأصبحت فكرة التطور مسيطرة على الكثيرين فانقادوا لها وأدخلوها في المحيط الديني، فأفسدوا كثيرًا من القضايا.

ونعود فنترحم على الشيخ محمد عبده، وإذا كنا ننتقده ونحن نحاضر في قاعته فذلك أننا نعلم أنه رحمه الله كان من سعة الصدر ومن سعة الأفق بحيث لا يضيق بنقد، ونعتقد أنه لا يضيق بنقدنا ولا يقلل هذا من شأنه. اهـ.

قلت: قوله: «وأصبحت فكرة التطور مسيطرة على الكثيرين فانقادوا لها وأدخلوها في المحيط الديني، فأفسدوا كثيرًا من القضايا».

قلت: نعم تحت ما يسمى بتطوير الخطاب الديني وتطوير الأذان فمن لها اليوم في قاعة الإمام، ليسمع الآذان، والله المستعان.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



موقف المأموم من الإمام

س: هل الأفضل أن يكون المصلي في أيمن الصف مع بعده عن الإمام أو في أيسر الصف مع قربه من الإمام ؟

الجواب: الأفضل أن يكون في الجانب الأيمن من الصف، سواء قرب من الإمام أو بعد؛ لعموم حديث: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف». رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان.

الشك في الطواف بعد الانتهاء منه

س: هل يلتفت إلى الشك في عدد الركعات أو عدد أشواط الطواف أو السعي بعد الانتهاء منها. وكذلك الحال بالنسبة للوضوء أم لا ؟ بمعنى أنه لا ينظر إلى الشك بعد الانتهاء من العبادة ؟

الجواب: الشك بعد الانتهاء من الطواف والسعي والصلاة لا يلتفت إليه؛ لأن الظاهر سلامة العبادة.

ذكر سجود السهو وسجود التلاوة

س: ماذا يقال في سجود السهو وكذلك سجود التلاوة ؟

الجواب: يقال في سجود السهو وسجود التلاوة ما يقال في سجود الصلاة من تسبيح ودعاء؛ لأنهما سجودان مشروعان فأشبها سجود الصلاة.

الكتب والأشرطة الموقوفة للمساجد

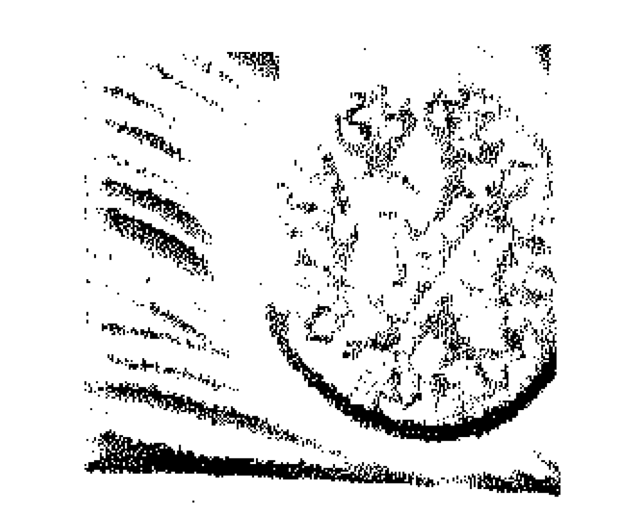
س: تقدم مكتبة المسجد بعض الكتب والأشرطة النفيسة للقراء. غير أن الإيجار يكون بدفع ثمن رمزي لكل شيء يؤخذ لمدة معينة. هل هذا جائز أم أنه يكون عبارة عن تجارة؟

الجواب: ما في مكتبة المسجد من الكتب وغيرها يعتبر وقفًا لا يجوز أخذ الأجرة على استعماله.

نسيان سجدة في الصلاة

س: من سها عن سجدة من سجدتي ركعة، ثم قام واقفًا ورده المأموم فهل يستجيب ويسجد الثانية أم ماذا يفعل ؟

الجواب: يجب عليه أن يستجيب لهم فيرجع ويسجد الثانية، إذا لم يكن شرع في القراءة ثم يسجد للسهو آخر الصلاة، أما إن كان قد شرع في القراءة فإنه لا يرجع وعليه أن يستمر في الصلاة ويأتي بركعة بدلاً من الركعة التي ترك سجودها ثم يسجد للسهو؛ لأن الركعة التي ترك سجدة من سجدتيها قد ألغيت وقامت التي بعدها مقامها.



الفتاوى

إمامة الصبي

س: دخل رجل المسجد ووجد مجموعة من الشباب أكبرهم يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، فهل تصح إمامة هذا الشاب الذي يبلغ عمره اثنتي عشرة سنة ؟

الجواب: تصح إمامة الصبي الذي يعقل الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» الحديث، ولما ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة الجَرْمِي قال: قدم أبي من عند النبي ﷺ فقال: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا حضرت الصلاة فليؤمكم أكثركم قرآنًا». قال: فنظروا فلم يجدوا أحدًا أكثر مني قرآنًا فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين.

أحكام الوصية

س: ما حكم الشرع في الوصية، أي: ما يوصي به الشخص قبل موته، وما هي صيغتها، وما هو الشيء الذي تجب الوصية بشأنه ؟

الجواب: من أراد أن يوصي من ماله فعليه المبادرة بكتابة وصيته قبل أن يفاجئه الأجل، وعليه الاعتناء بتوثيقها والإشهاد عليها، وهذه الوصية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الوصية الواجبة، كالوصية ببيان ما عليه وما له من حقوق، كدين أو قرض أو قيام ببيوع، أو أمانات مودعة عنده، أو بيان حقوق له في ذمم الناس. فالوصية في هذه الحالة واجبة؛ لحفظ أمواله وبراءة ذمته، ولئلا يحصل نزاع بين ورثته بعد موته وبين أصحاب تلك الحقوق؛ لقول النبي ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»، أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري (١٨٦/٣).

القسم الثاني: الوصية المستحبة، وهو التبرع المحض، كوصية الإنسان بعد موته في ماله بالثلث فأقل لقريب غير وارث أو لغيره أو الوصية في أعمال البر من الصدقة على الفقراء والمساكين أو في وجوه الخير، كبناء المساجد والأعمال الخيرية؛ لما رواه خالد بن عبيد السلمي، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل أعطاكم عند وفاتكم ثلث أموالكم زيادة في أعمالكم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني وإسناده حسن، وأخرج الإمام أحمد في مسنده نحوه عن أبي الدرداء، ولحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المخرج في الصحيحين قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: «يرحم الله ابن عفراء»، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله ؟ قال: «لا». قلت: فالشطر ؟ قال: «لا». قلت: الثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم». والحديث لفظ البخاري، وفي لفظ للبخاري أيضًا: قلت: أريد أن أوصي وإنما لي ابنة، قلت: أوصي بالنصف ؟ قال: «النصف كثير». قلت: فالثلث ؟ قال: «الثلث، والثلث كثير - أو - كبير». قال: فأوصى الناس بالثلث وجاز ذلك لهم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحلقات القرآنية..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «..ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». [رواه مسلم ٢٦٩٩]

الحلقة القرآنية هي: اجتماع في بيت من بيوت الله، أو في أي مكانٍ طاهرٍ مرضي، لتدارس القرآن الكريم مدة من الزمن.

نشأة الحلقات القرآنية وانتشارها

حلقة القرآن في غار حراء:

لعلَّ أول حلقة قرآنية تشرَّف الكون بانعقادها كانت حين بزغ أول شعاع من أنوار الإسلام، لتُعقد هناك أوَّل حلقة قرآنية في الأرض: الحلقة «النور» بين الأمينين: أمين أهل السماء جبريل عليه السلام، وأمين أهل الأرض محمد ﷺ، ولتعلن بدء السنة الأولى من البعثة النبوية الكريمة.

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث - وهو التعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده».

إذن فقد كانت «اقرأ» هي أول كلمة افتتح بها ذلك اللقاء المبارك بين الأمينين، وكان «غار حراء» هو أول الأمكنة تشرفًا بذلك اللقاء، ثم تعددت أماكن اللقاء بعد ذلك، وتنوعت أزمنته وأشكاله، خلال ثلاث وعشرين سنة، هي مدة نزول الوحي.

فكان الصحابة يأخذون دَوْرَ النبي ﷺ في الاتصالات للوحي، ويأخذ ﷺ دور جبريل في تلقينهم ما نزل من عند الله سبحانه، وكانت دارُ الأرقم بن أبي الأرقم من أُولى الأماكن التي تشرفت بهذا الفضل. [سيرة ابن هشام ٢٥٣/١]

وانتشر النور بين أصحاب رسول الله ﷺ، وطفقوا يتلقون القرآن من فِي رسول الله ﷺ، يكتبونه في الصحف، ويحفظونه في الصدور، فكان من كُتَّاب الوحي: معاوية، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وكان من حُفاظ الصدور: ابن مسعود رضي الله عنه الذي حدَّث عن نفسه فقال: «أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سُورة لا ينازعني فيها أحد». [البخاري ٥٠٠٠]

حلقات القرآن بالمدينة:

أمَّا في المرحلة المدنية - وفي المدينة المنورة: طيبة الطيبة - فقد كان انتشار هذا النور أوسع، فأهلها هم الأنصار الذين فتحوا قلوبهم للذكر والتنزيل، وأسلموا أرواحهم فداءً له.

ولقد كان أول سفير للنبي ﷺ بالقرآن الكريم

نشأتها وتطورها

إعداد/ د. نصر سعيد
كلية القرآن الكريم. طنطا

إليها: مصعب بن عمير رضي الله عنه، فقد اختاره ﷺ مبعوثًا إليها قُبيلَ هجرته، يفقِّهُ أهلها في دين الله، ويعقد فيها أولى الحلقات القرآنية مع أسعد بن زُرارة الخزرجي رضي الله عنه تاليًا على الناس ما معه من كتاب ربِّه، حتَّى سمِّيَ عند أهلها بالمقرئ.

وزاد هذا النور انتشارًا بقدومه ﷺ إليها، حيث تولى بنفسه مهمَّة الإقراء والتعليم لكتاب الله تعالى، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: «أقبل أبو طلحة رضي الله عنه يومًا فإذا النبيُّ ﷺ قائم يُقرئُ أصحاب الصُّفَّة، على بطنه فصيلٌ من حجر يُقيم به صلبه من الجوع».

كما أثار توجيه النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله...» الحديث، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «بلغوا عني ولو آية». هِمَمَ الصحابة وشَحَذَ عزائمهم في المسارعة إلى اكتساب هذا الخير ونشره، فطفقوا يعقدون حلقات القرآن الكريم، ويقرأ بعضهم على بعض، ويعلِّم بعضهم بعضًا آياتِ الله سبحانه، حتى أن الأكبر منهم سنًّا وسابقة ليعرض القرآن على مَن هو أصغر منهم، فقد رُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف ذات ليلة ونحن بمنى». [البخاري: ٧٣٢٣]

وامتلأ مسجد رسول الله ﷺ بحلقات الإقراء، يفتتحها النبي ﷺ ويشرف على اختيار جِلَّة أصحابه لتوليها، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان أنصاريًا، قال: «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل مِنا يعلمه القرآن، فدفع إليَّ رسول الله ﷺ رجلاً فكنت أُقرئه القرآن».

وقد افتتح رضي الله عنه حلقة للقرآن الكريم بين أهل الصُّفَّة في مسجد النبي ﷺ، وقال في ذلك: «علمتُ ناسًا من أهل الصُّفَّة الكتابة والقرآن».

ويكفي دليلاً على سعة انتشار حلقات القرآن الكريم، وكثرة حفَّاظه من الصحابة في المدينة: إرسال النبي ﷺ في السنة الرابعة من هجرته المباركة سبعين من الصحابة - على الصحيح - كانوا يسمَّون بالقراء، إلى خارج المدينة لنشر القرآن وتعليمه، فقُتِلوا رضوان الله عليهم عن آخرهم ببئر «معونة»، وقنت النبي ﷺ قبل الركوع شهرًا يدعو على مَن قتلهم، ثم تركه لمَّا جاءوا تائبين مسلمين. [رواه البخاري ٢٩٩٩]

وقد أورد البخاري في صحيحه - بثلاث روايات - سبعة من الحفَّاظ على عهد النبي ﷺ هم: عبد الله بن مسعود، وسالم - مولى أبي حذيفة - ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء، رضي الله عنهم جميعًا.

وهذا الحصر عن الإمام البخاري للسبعة المذكورين آنفًا، لا يلزم منه أن سواهم لم يحفظ القرآن الكريم ولم يجمعه على عهد النبي ﷺ، لا سيما وأنَّ الصحابة كُثرٌ، وقد تفرقوا في البلاد وحفظ بعضهم عن بعض. قال الإمام ابن حجر - رحمه الله -: ولا يلزم من ذلك ألا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد، منهم جماعة من الصحابة.

وقال القرطبي: «وقد قُتل يوم اليمامة زمن الصدِّيق - فيما قيل - سبعمائة من القراء».

[تفسير القرطبي ٧٣/١]

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا العناية بالقرآن حفظًا وعلمًا وتعليمًا وعملاً لعلنا نكون من أهل الله وخاصته. آمين.

والحمد لله رب العالمين.

عناية الإسلام بالمال

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وبعد:

لا شك أن المال ضرورة في الحياة، فهو أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فالعبد يحتاج المال في كافة شئون حياته: في طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه وملبسه، وبه يجلب الناس مصالحهم ويستدفعون الضرر عن أنفسهم، وتقام به العبادات والمعاملات، وبه يتعفف الناس عن ذل السؤال، وقد جعل الشرع للمال حُرمة عظيمة وأولاه عناية واهتمامًا، لأن الناس مجبُولون على حبه، قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠]، وسمى الله عز وجل المال خيرًا فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨]، قال السعدي: أي: «كثير الحب للمال». [تيسير الكريم الرحمن (ص٨٨٥)].

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ [ص: ٣٢]، قال السعدي: أي آثرت حب الخير الذي هو المال عمومًا. [المرجع السابق (ص٦٨٥)]، وحتى لا يُغالي الناس في حبهم للمال فيصيرون عبيدًا له من دون الله تعالى، وحتى لا يترك الناس السعي في تحصيله تواكلاً فيكونون عالة على غيرهم مُضيعين لحقوق من يعولونه جاء الإسلام ليحدد العلاقة بين الإنسان والمال؛ فبين قيمته وطُرق تحصيله ووجوه استعمالاته وإنفاقه ومصارفه وفيما يلي نبذة مختصرة عن ذلك:

أولاً: قيمة المال:

للمال قيمة عظيمة في الإسلام، فبه تقام العبادات كالزكاة والحج والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٤١].

والمال هو الحسب كما قال رسول الله ﷺ: «الحسب المال». [رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم ١٨٧٠]، وقال أيضًا: «إن أحساب الناس بينهم هذا المال» [رواه النسائي وحسنه الألباني في إرواء الغليل ١٨٧١]، وهو من مظاهر قوامة الرجل على المرأة، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]، وبالمال يتناكح الناس ويتبايعون ويسافرون من أجله ويرتحلون، وهو يدخل في كل مجالات الحياة، ولعظيم قيمة المال لا يجوز تمكين السفهاء منه، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، فيجب أن يكون تحت أيدٍ أمينة تقوم برعايته وتنميته. وقد ورد ما يدل على عدم جواز دفع أموال من لا رشد لهم إليهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦]، فجعل الرشد شرطًا لدفع أموالهم إليهم، ومن الأولى عدم جواز دفع أموال غيرهم إليهم مع عدم الرشد، كذلك شرع الحَجْرُ على السفيه الذي لا يُحسن التصرف في ماله لحفظ ماله بما لا يعود عليه بالضرر، إلى آخر ذلك من الأدلة على عظيم قيمة المال في الإسلام وحرمة التعدي على مال الغير إلا بوجه مشروع سواءً كان المال لمسلم أو لكافر، ومن أتلف مال غيره ضَمِنَ ما أتلفه حتى ولو كان صغيرًا أو مجنونًا سواءً ضمنه بالمثل أو بالقيمة، وشُرِعَ قطع يد السارق للحفاظ على المال.

ثانيا: طرق تحصيل المال:

حثَّ الإسلام على السعي لكسب المال من وجه مباح والحصول عليه خاليًا من الظلم والتعدي وأكل الأموال بالباطل، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال السعدي: «أي علم الله أن منكم مسافرين للتجارة ليستغنوا عن الخلق». [تفسير السعدي: ص٨٥٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه». [أخرجه البخاري ٢٠٧٤، والترمذي ٦٧٥].

فيجوز التكسب بالحلال المشروع من كافة الأعمال التي أجازها الشرع الحنيف، فعلى سبيل المثال: التكسب بالنجارة: قال رسول الله ﷺ: «كان زكريا عليه السلام نجارًا». [مسلم: ٢٣٧٩]، كذلك من التجارة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢١]، وكان موسى عليه السلام قد عمل في رعي الغنم، وكذلك الأنبياء، ومنهم نبينا محمد ﷺ، وعمل داود عليه السلام في صناعة الدروع وأسلحة الحرب، ولا بأس أن يعمل زارعًا أو صانعًا أو حدادًا أو مدرسًا أو حارسًا أو صيادًا أو بناءً أو طبيبًا أو مهندسًا، كل ذلك مباح وجائز في شرعنا، فكل عمل أو مهنة أو حرفة لا تخالف الشرع، فهي مباحة ولا بأس بالتكسب منها، كما علينا أن نحصل على المال خاليًا من الظلم والتعدي، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩]، قال السعدي (ص١٥٥): «ينهى الله عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة». اهـ. وقال رسول الله ﷺ: «خذوا ما حلَّ ودعوا ما حرُم». [رواه ابن ماجه: ١٧٤٣، وصححه الألباني]، وقال أيضًا: «كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه». [أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه]

ويدخل في اكتساب المال من وجه مُحرَّم ما يعود على النفس والعرض والجماعة بالفساد؛ كالربا والرشوة والاختلاس والغش والتدليس وخيانة الأمانة وأكل أموال اليتامى ظلمًا، والحصول عليه من البيوع المحرمة؛ كبيع الخنزير والأصنام وثمن

إعداد / **نصر الله ونيس**

الكلب والقط ومهر البغي وأجر الراقصات والمغنيات والكهانة والعرافة والسحر وفتح دور الفساد والبغاء والاتجار في المسكرات بأنواعها، ونشر كتب الفساد، والزندقة، إلى آخر تلك الطرق المخالفة لشرع الله عز وجل، واعلم أن كل ما تم تحصيله من وجه حرام فهو سحت وباطل ومُحرّم، وكل جسد نبت منه فإلى النار مصيره، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به». [رواه الترمذي وابن حبان بمعناه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٥١٩]

فلا يحل مال الغير عينًا ولا انتفاعًا إذا خالف فيه الشرع.

ثالثًا: طرق استعماله ووجوه إنفاقه:

حتى لا ينحرف الناس في كيفية إنفاق المال وطريقة استعماله أوجب الإسلام إنفاقه في طرق مشروعة، وحرم إنفاقه فيما نهى عنه فلا يُنفق المال في المعاصي والذنوب التي لا تعود إلا بالضرر والدمار، ولا يمسكه عن إخراجه في الواجبات، كذلك لا يُسرف ولا يُبذر كما أنه لا يبخل ولا يقتر فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على الاعتدال بلا تبذير ولا بخل ولا شح، كما قال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة». [رواه البخاري]

وعن عبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

[رواه مسلم ٢٩٥٨]

فلا يجوز للمسلم الانحراف في إنفاق ماله. قال السعدي رحمه الله (ص٣١٥): «فانحراف الإنسان في ماله يكون بأحد أمرين: إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعًا، بل لا يناله إلا الضرر المحض

وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله، وإما أن يُمسك ماله عن إخراجه في الواجبات». اهـ.

نظرة الإسلام للثراء والغنى:

لا بأس أن يكون الرجل غنيًا من غير ضرر ولا ضرار، لكن لا يجوز كنز المال ومنع الحقوق الواجبة فيه، فهذا مذموم شرعًا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالى عن الفيء: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

فمن وسائل توزيع الثروات بين العباد حتى لا يكون متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء:

-الزكاة بأنواعها: (النقود، الحلي، الزروع والثمار، المواشي، الركاز، الفطر).

كذلك فرض ربنا عز وجل نفقات واجبة: كالنفقة على الزوجة والأبناء والعبيد، إلى غير ذلك، وفتح الإسلام بابًا للحث على: الصدقات ووعد بالإخلاف لمن أنفق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا﴾ [آل عمران: ٩٢]، وحث على عتق الرقاب فجعلها كفارة للظهار ولليمين المنعقدة وللقتل الخطأ وأفضلها أكثرها ثمنًا، قال أبو ذر رضي الله عنه للنبي ﷺ: أي الرقاب أفضل ؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا. [البخاري: ٢٥١٨، ومسلم٨٤]، واليد العليا خير من اليد السفلى ولمن أعطى الطول على من أخذ، وحث الإسلام على الهدايا والهبات والتي تدخل في باب العطايا.

كذلك فتح باب العقوبات المالية: كالديات، والتعزير بالمال، والكفارات بأنواعها كل حسب حاله، هذا أثناء حياة صاحب المال، أما بعد موته فمن وسائل توزيع الثروات: الميراث لمستحقيه، كذلك إن كان هناك وصية في المال الذي تركه الميت، فهذه أبواب لتوزيع المال حتى لا يكون حكرًا على فئة دون أخرى، وهذا من رحمة الله بالعباد؛ لمنفق المال والآخذ معًا.

رابعًا: عناية الإسلام بحفظ المال:

لم يترك الإسلام أمر المال سُدًى، بل هناك طُرق لحفظه من الضياع والتلف.

أولها: حد السرقة لردع من تسول له نفسه الاعتداء على مال غيره، ثم الوعيد الشديد لمن أكل مال غيره بالباطل.

ومن وسائل حفظ المال:

الكتابة التي فيها قطعٌ للتنازع والشجار وحفظ للحقوق من الضياع والسلامة من النسيان والذهول وللاحتراز من الخونة، وكذلك الإشهاد ممن هم أهل لذلك على أن يكونا رجلين أو رجلاً وامرأتين ممن يكونون مقبولين، ومن وسائل حفظ المال أيضًا: الرهن للاستيثاق بالدَّيْن، والضمان، والكفالة، واستخدام وسائل أخرى سواءً كان في الحضر: كحفظه في الخزائن الحديدية، والسحب والإيداع أو في حال التنقل والترحال عن طريق: الشيكات، بطاقات الصرف، والتحاويل المصرفية وكل وسيلة تستجد لحفظ المال يشرع الأخذ بها.

وختامًا: هذا هو ديننا قد هَذَّبَ علاقة المسلم بالمال فلا يكون له عبدًا كالرأسماليين وأصحاب المذاهب الهدَّامة، أولئك لم يعرفوا قدر الحياة فنظرهم قاصر على ظاهر الحياة الدنيا ومفاتنها فانشغلوا بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها فالغوْا عقولهم وسَخَّروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم، ولا يبقون هم له، فهؤلاء أضل من الأنعام، ومأواهم النار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، فعليك بالاقتصاد والتوسط في طلب المعيشة.

عن جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٧٤٣]

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فقد اعتاد الناس أن يذهبوا إلى الأطباء لعلاج أبدانهم من الأمراض التي أصابتهم، وذلك لأنهم يشاهدون آثار تلك الأمراض، ومع ذلك يغفل الكثير منهم عن نوعٍ آخر من الأمراض، التي هي أكثر ضررًا من أمراض الأبدان، وهي أمراض القلوب، وهل التأثير حقيقة إلا على الروح والقلب ! فما البدن إلا تابع لهما. ومن هذه الأمراض: الحَسَدُ، وهو من الأمراض الخطيرة، وهو سبب لضياع الدين والدنيا معًا، من أجل ذلك أحببت أن أُذكر نفسي وإخواني الكرام بأسباب الحسد وعلاجه، فأقول وبالله التوفيق:

معنى الحَسَدُ:

الحسد هو أن يرى الرجلُ لأخيه نعمة، فيتمنى أن تزول عنه، وتكون له دونه.

[النهاية لابن الأثير جـ١ ص٣٨٣]

كلمة الحسد في القرآن:

جاءت كلمة الحسد في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة خمس مرات.

[المعجم المفرس لألفاظ القرآن ص٢٠١]

الرد على من ينكر الحسد:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: لا ريب أن الله سبحانه خَلَقَ في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص، وكيفيات مُؤَثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمرٌ مُشَاهَد محسوس. فأنت ترى الوجه كيف يَحْمرُ حُمْرة شديدة إذا نظر إليه من يستحي منه ويصفر صُفْرة شديدة عند نظر من يخافه إليه. وقد شاهد

الناس من يَسْقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ولشدة ارتباطها بالعين يُنسبُ الفعل إليها وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح.

والأرواح مختلفة طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بَيِّنًا، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يستعيذ به من شره، وتأثير الحسد في أذى المحسود أمرٌ لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابلُ المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بذلك الأفعى، فإن السُّمَّ كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمْس البصر.

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اقتلوا الحيَّات، واقتلوا ذا الطفيتين (خطان أبيضان على ظهر الحية) والأبتر (قصير الذنب أو مقطوع الذنب)، فإنهما يطمسان البصر ويُسقطان الحَبَل» (الجنينَ في بطن أمه). [البخاري حديث ٣٢٩٧، ومسلم ٢٢٣٣، زاد المعاد لابن القيم جـ٤ ص١٦٦]

أنواع الحسد:

الحسد نوعان: حسد مذموم، وحسد محمود، وسوف نتحدث عنهما بإيجاز.

أولاً: الحسد المذموم: المقصود بالحسد المذموم هو أن يرى الإنسان نعمة على إنسان آخر فيكره ذلك ويتمنى زوالها عنه وانتقالها إليه. وهذا النوع من الحسد ذمَّه الله وحرَّمه في كتابه وحذرنا منه النبي ﷺ في سنته المطهرة.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال ابن كثير رحمه الله: يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من سلوك الكفار من أهل الكتاب. ويُعْلِمُهم بعداوتهم لهم في الظاهر والباطن، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين. [تفسير ابن كثير جـ٢ ص١٨]

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ﴾ يعني: اليهود، وقوله تعالى: ﴿ النَّاسَ ﴾ يعني النبي ﷺ خاصة.

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: حسدوه على النبوة، وأصحابه على الإيمان به. [تفسير القرطبي جـ٥ ص٢٥٢]

وحذرنا النبي ﷺ من الحسد المذموم لما يترتب عليه من مفاسد في الدين والدنيا، وذلك من خلال أحاديثه الشريفة، والتي سوف نذكر بعضًا منها:

روى الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانًا». [البخاري حديث ٦٠٧٦، ومسلم حديث ٢٥٥٩]

روى الترمذي عن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال: «دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تَحْلِقُ الشعر ولكن تحلق الدين». [صحيح الترمذي ٢٠٣٨]

روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يجتمعان في قلب عبدٍ: الإيمان والحسد». [صحيح النسائي ٢٩١٢]

مراتب الحسد المذموم: ذكر أهل العلم مراتب للحسد المحرم، سوف نذكرها فيما يلي:

المرتبة الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن الغير، وأن تنتقل إليه، ولذا يسعى بكافة السُّبُل المحرَّمة إلى الإساءة إليه ليحصل على مقصوده، كأن يحصل على داره، أو يجعله يطلِّق امرأته ليتزوجها، أو يكون صاحب منصب، فيحب أن يحصل عليه بدلاً من ذلك الغير. وهذه المرتبة هي الغالبة بين الحُسَّاد.

المرتبة الثانية: أن يحب الإنسان زوال النعْمة عن الغير، وإن كانت هذه النعمة لا تنتقل إليه، وهذه المرتبة في غاية الخُبْث ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: أن لا يحب الإنسان نفس هذه النعمة لنفسه، ولكنه يشتهي أن يكون لديه مثلها، فإن عجز عن الحصول على مثلها، أحب زوال هذه النعمة عن الغير كي لا يظهر التفاوت بينهما. [الإحياء للغزالي جـ٣ ص٢٩٨]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالكذب أمره خطير وشره مستطير، انتشر في كل مكان وظهر في كل زمان - إلا ما رحم الرحمن - فهو من كبائر الذنوب وفواحش العيوب، أبغض الأخلاق إلى كل الأنبياء، صاحبه في قلق واضطراب وحيرة وارتياب، ممحق للبركات، مكثر للسيئات، مفتاح لكل الموبقات، مغلاق لكل الخيرات، موجب للعذاب، طارد من الجنات إلى جحيم المهلكات.

مما يبكي العين ويدمي القلب أن مرض الكذب متغلغل في بعض النفوس كالسرطان الخبيث ويقع للأسف الشديد من الآباء أمام الأبناء، ومن المعلمين أمام المتعلمين، فصار المجتمع مريضا- إلا ما رحم الله - بهذا المرض العضال، فكان لابد من وقفة للعتاب.

تعريف الكذب: يقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سواء تعمدت ذلك أم جهلته لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد. [الأذكار: ص٤٧٤]

فالكذب: هو أن يخبر الإنسان بخلاف الواقع، فيقول: حصل كذا وهو كاذب، أو قال فلان كذا وما أشبه ذلك فهو الإخبار بخلاف الواقع. [رياض الصالحين ص٥٦٠]

التخويف من الكذب: حديث القول عن الكذب: الكذب من السلوكيات المذمومة التي حذر منها القرآن في ٢٨٣ آية من كتاب الله عز وجل. [المعجم المفهرس ص٥٩٨]

هناك آيات تحمل التهديد الأكيد والوعيد الشديد، ومن الخوف المزيد لمن كان الكذب سلوكه وخلقه ومسلكه من هذه الآيات:

١- **الحرمان من نعمة الهداية:** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، في هذه الآية تهديد وتخوف من الكذب لأن الكذاب محروم وبعيد عن هداية الله تعالى بعيد عن الصراط المستقيم لأنه اختار الطريق المعوج المظلم طريق الكذب.

٢- **الطرد من رحمة الله تعالى:** قال تعالى: ﴿لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. الكذاب مطرود من رحمة الله تعالى، هذه الرحمة يتمناها كل صاحب عقل وقلب رشيد.

حديث السنة عن الكذاب: السنة النبوية المطهرة فيها أحاديث تشيب لها الولدان من شدة الخوف والتحذير من الكذب فعلى سبيل المثال:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا». [البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧]

نلاحظ في هذا الحديث لهجة التحذير والتخويف في قوله: «إياكم»، لماذا؟ لأن الكذب يؤدي إلى الفجور.

ما معنى الفجور؟ قال الراغب: أصل الفجور الشق. فالفجور شق في ستر الديانة ويطلق على الميل إلى الفساد وعلى الانبعاث في المعاصي وهم اسم جامع للشر.

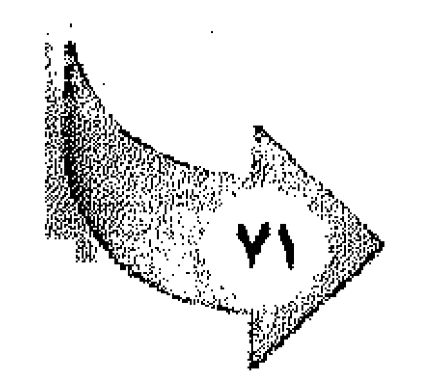
[فتح الباري ١٠/٥٢٤]

والفجور: هو الميل عن الحق والاحتيال في رده، ومعنى قوله ﷺ: «إياكم والكذب» يعني: ابتعدوا عنه واجتنبوه، وهذا يعم الكذب في كل شيء ولا يصح قول من قال: إن الكذب إذا لم يتضمن ضررا على الغير فلا بأس به فإن هذا قول باطل، لأن النصوص ليس فيها هذا القول والنصوص تحرم الكذب مطلقا يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل إلى الفجور والعياذ بالله هو الخروج عن الطاعة والتمرد والعصيان. [شرح رياض الصالحين ١/١١٤]

٣- **الكذب مفتاح النفاق:** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهم كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر». [البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨]

معنى خلة: خصلة أو صفة.

قال الإمام النووي رحمه الله: الذي قاله المحققون



والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال قوله ﷺ: «كان منافقًا خالصًا». معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. [شرح مسلم ٢/٢٣٦]

قال الحافظ ابن حجر: المراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال.

[فتح الباري ١/١١٣]

٣- الكذب خيانة كبيرة: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تُحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب».

[قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١٤٧/٣): رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد]

قيل في منثور الحكم: الكذب لص لأن اللص يسرق مالك والكذب يسرق عقلك، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الكذاب كالسراب.

[أدب الدنيا والدين ص٢٦٤]

آفات الكذب: للكذب آفات وأضرار متوالية في الليل والنهار لا تنتهي إلى أن تقوده إلى النار، من هذه العقوبات والآفات:

أولاً: في الدنيا:

١- انعدام الراحة والأمن: عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة». [صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠١٨]

الريب: القلق والاضطراب.

[جامع العلوم والحكم ص١٦٩]

معنى ذلك: أن الكذب شك واضطراب قلق وإزعاج وانعدام طمأنينة النفس عدم هدوء البال وانشراح الصدر.

الكذب: جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج عنه النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول إلى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

[أدب الدنيا والدين ص٢٦٧]

٢- الكذب يمرض القلب: الكذب يؤدي إلى مرض القلب والقلب المريض لا يشعر بالاطمئنان والسكينة ونجد ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

فالكاذب مريض القلب؛ لأن الكذب نقيض الصدق والصدق يهدي إلى البر والكذب يهدي إلى الفجور والإنسان الفاجر يحيا في الآلام النفسية بما تصوره له نفسه الأمارة بالسوء على أنه سعادة. [الكذب آفة العصر ص١٣]

٣- دنيا الكذاب جحيم: قال الإمام ابن القيم: لا تحسب أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك، أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟!

وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل وادٍ منه شعبة وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإن يسومه سوء العذاب فكل من أحب شيئًا غير الله عُذب به ثلاث مرات. [الجواب الكافي ص١٠٦]، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه].

٥- زوال البركة والنماء: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما».

المعنى: إن كتما وكذبا: كتم البائع وأخفى عيوب السلعة فكذب وحلف بالأيمان المغلظة بأن سلعته سليمة وذكر ثمنًا مرتفعًا جدًا لا تستحقه السلعة وكذب المشتري بأن أعطى البائع ثمن أقل ما تستحقه هذه السلعة مستغلاً صدق البائع نتيجة الكذب: ترتب على الكذب في البيع والشراء زيادة في الثمن أو زيادة في المبيع فإنه سحت والعياذ بالله لأنه مبني على الكذب والكذب باطل وما بني على باطل فهو باطل.

[شرح رياض الصالحين ١٩٢/٤]

بسبب شؤم التدليس والخداع والكذب: يزيل الله عز وجل بركة هذا البيع وبركة المكسب فترى الكذاب يزداد ربحه ولكن لا بركة فيه فيضيعه فيما لا فائدة فيه في المخدرات مثلاً ولا يبارك الله في حياته ولا أهله ولا أولاده.

وقانا الله وإياكم، والحمد لله رب العالمين.



ميراث الأنبياء
الكنز الذي يقتنيه كل مسلم
مجلدات التوحيد
تعلن مجلة التوحيد عن وجود مجلدات التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٣٠ جنيهًا مصريًا، وفروع أنصار السنة ١٨ جنيهًا مصريًا ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.
لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٤ مجلدًا من مجلة التوحيد عن ٣٤ سنة كاملة.
٦٢٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
٢٢٠ دولار شاملة سعر الشحن لمن يطلبها خارج مصر.
علمًا بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع بمقر مجلة التوحيد